

ديوان الدفاع عن السيدة

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

طلال مساعد العامر

فهرسة
مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

ردمك :
رقم الإيداع : ردمك :

حقوق الطبع محفوظة لمبرة الآل والأصحاب
إلا لمن أراد التوزيع الخيري بشرط عدم التصرف في المادة العلمية

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م
مبرة الآل والأصحاب

هاتف : ٢٢٥٦٠٢٠٣ - ٢٢٥٥٢٣٤٠ فاكس : ٢٢٥٦٠٣٤٦

ص. ب : ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٧١٦٥٥ الكويت

E-mail : almabarrh@gmail.com

www.almabarrah.net

إهداء

إليك من طيف أحلامي لإدراكي
ومن قيود الأسى أرنو لأخراك
أهديك يا ربّة الأخلاق قاطبةً
سفرًا يشيد ويشدو في مزاياك
أهديك حبًا وتكريمًا ومعرفةً
وصلًا لأسباب دنيانا بدنياك
قد أنزل الله فيك الذكر تبرأةً
من قول كلّ ضعيف النفس أفاك
يتلى مدى الدهر لا تبلى محاسنهُ
فاله بالطيب في القرآن سَمّاك
وصفتِ تجربة الصبر الجميل لنا
مما تعانين حتى صار معنّاك
يا أمّ أهديك فيضًا من خلالك من
آدابك الغر من إيثارك الزاكي
هذي بضاعتكم ردت لكم ولنا
منها لسان الوفا يتلو سجاياك

الفهرس

- ٤ - الفهرس
- ٧ - مقدمة
- ٧ - سيرة ملهمة
- ٨ - حديث الإفك بلغة الأدب
- ١٣ - الباب الأول: أم المؤمنين رضي الله عنها سيرة ورسالة
- ١٣ - سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
- ١٥ - معلمة الرجال
- ١٧ - الأدبية الأريية
- ٢٤ - الباب الثاني: حديث البراءة
- ٢٤ - نص حديث الإفك
- ٣٠ - نظم حديث الإفك
- ٣٦ - حديث الإفك عند رواد الأدب والفكر
- ٤٢ - حديث الإفك... تربية وتأديب
- ٤٥ - حديث الأفك عن الشعراء
- ٥١ - الباب الثالث: ديوان الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
- ٥١ - القصيدة الأولى: أبو بكر الصديق رضي الله عنه
- ٥٥ - القصيدة الثانية: للصحابية كبشة بنت رافع
- ٦٠ - القصيدة الثالثة: قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه
- ٦٢ - القصيدة الوضاحية للشاعر موسى بن بهيغ
- قصيدة / بلوغ السعد والأمنية في مدح سيدتنا أم المؤمنين المبرأة الصديقية وهي تخميس للقصيدة الوضاحية
- ٧٠

- ترجمته ٨٢
- القصيدة السادسة: قصيدة / قصة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٢
- القصيدة السابعة: من قصيدة نظام البردة ٩٨
- القصيدة الثامنة: قصيدة: حديث الإفك ١٠٦
- القصيدة التاسعة: قصيدة: البريئة (عائشة أم المؤمنين) ١١٠
- القصيدة العاشرة: قصيدة (الذين جاؤا بالإفك) ١١٥
- القصيدة الحادية عشر: قصيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ١٢٥
- القصيدة الثانية عشر: قصيدة أم المؤمنين ١٢٧
- القصيدة الثالثة عشر: قصيدة حديث الإفك ١٣٠
- القصيدة الرابعة عشر: رسالة إلى أم المؤمنين ١٤١
- القصيدة الخامسة عشر: إمام حجرة عائشة ١٤٩
- القصيدة السادسة عشر: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حبيبة المصطفى ﷺ ١٤٩
- القصيدة السابعة عشر: أم المؤمنين عائشة الصديقة ١٥٦
- القصيدة الثامنة عشر: مبرأة السماء ١٥٨
- غيض من فيض الديوان ١٦٣
- المراجع ١٧٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

سيرة ملهمة:

كانت شخصية الرسول ﷺ وسيرته الطاهرة ولا زالت مصدر إلهام للحركة الأدبية في مختلف عصور تاريخ الأدب العربي، سواء أكان على صعيد الإبداع الأدبي أم على صعيد الفنون الأدبية.

وقد دشّن هذه المسيرة الأدبية، وهذا اللون الإبداعي، كوكبة من صحابة رسول الله ﷺ من شعراء الدعوة الأولى، من أمثال حسان بن ثابت وكعب ابن مالك وكعب بن زهير وغيرهم رضي الله عنهم، واستمر هذا الإبداع حيناً من الدهر حتى انتقل إلى ربوة أخرى رفع لواءه فيها البوصيري في ميّته وتلاه معارضوه، فبدأنا نتفطن إلى مواضع من السيرة الشريفة سلّطت عليها أضواء الشاعرية واكتفتها مواجيد الشعراء، تأمل هذا المشهد من سيرة الرسول ﷺ العطرة من قول البوصيري:

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق في الغار والصدق لم يَرِما وهم يقولون ما بالغار من أَرَم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم
وهكذا ما إن تنتهي حقبة حتى يتسلم راية المديح النبوي شعراء مبدعون
في حقبة ثانية، حتى جاء عصر النهضة وهو مثقل بتبعات تخلف الماضي

القريب وجموده، فأصبح المديح النبوي على خلاف ما كان سائداً عند شعراء الطرق الصوفية، بل صار مديحاً لبطل مخلص، يرفع إसार الظلم ونير الطغيان، يكافح ويرسم الخطط، ويوحد الجهود المبعثرة، ويرص الصفوف، وباسم الإسلام يقود الناس إلى الحرية والأمن والسلام.

وعلى هذا التصور تلاقت إبداعات الشعراء في العصر الحديث، ولا تستغرب إن وجدت من شعراء النصارى من نطقت شاعريته مديحاً في المصطفى ﷺ ينافس فيه بعض المسلمين، خذ مثلاً على ذلك قول الشاعر عبدالله يوركي حلاق وهو شاعر نصراني:

قبس من الصحراء شمع نوره فجلا ظلام الجهل عن ديانا
ومضى ففي أurdانه عبق الهدى وأريج فضل عطر الأكوانا
إني مسيحيُّ أجل محمداً وأراه في سفر العلى عنوانا
وأطأطئ الرأس الرفيع لذكر من صاغ الحديث وعلم القرآنا
وستقف في كتابنا هذا على إبداع لبعض شعراء الإسلام صاغوا فيه السيرة النبوية فناً وإبداعاً، كالشاعر أحمد محرم في ديوان مجد الإسلام، والشاعر المسرحي عزيز أباطة في ديوانه (من إشراقات السيرة الزكية)، وغيرهما.

حديث الإفك بلغة الأدب:

كانت بعض مواضع من السيرة العطرة أو بعض الشخصيات فيها محط نظر بعض الأدباء والشعراء ومثار اهتمامهم؛ كمولد النبي ﷺ والهجرة النبوية والإسراء والمعراج وغزوة بدر وأحد وشخصية علي بن أبي طالب وعمر ابن الخطاب وسلمان الفارسي رضي الله عنهم أجمعين.

يؤكد ما تقدم بحث نفيس للباحثة الألمانية أنماري شيمل جاء فيه قولها:
ولدينا من القصائد ما لا يعيه الحصر، ليس بالعربية فقط بل كذلك
بالفارسية والتركية والأوردية ويشار فيها إلى اسم بدر، حيث دارت
الموقعة الشهيرة التي حقق فيها المسلمون أول انتصار حاسم، أما موقعة
خيبر والتي حقق فيها علي بن أبي طالب نصراً مبيناً فنلتقي بها مرات
ومرات في التراث الأدبي للعالم الإسلامي^(١).

وقد وجدت أن حديث الإفك لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كان ملتقى
إبداع عدد من الشعراء والأدباء في عصور مختلفة.

فهذا محمد بن فرج السبتي الشاعر يقول عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :
وعائشة بنتُ الحبيب عتيقُ المصدقِ إيعادَ الرسولِ ووعدهُ
فريدةُ نسوانِ الوجودِ مناقبا متى يَبْلَ ذكْرُ صالحِ تستجدُّهُ
عليمةُ أهلِ العلمِ شمسُهُمُ التي جَلَتْ سَدَفُ الجهلِ المضلِّ وسدُّهُ^(٢)
وابن جابر الأندلسي العالم اللغوي الشاعر (ت: ٧٨٠ هـ) في قوله:

وإن امرأ بغض الصحابة شأنه لأبعد خلق الله عن رشد مرشد
بغض إلى رب السماوات خائب عدو لخير الخلق غير مسدد
ولو أنه يُجزى بقطع لسانه لقل له من فاجر متمرد
فإن سب أم المؤمنين بما به براءتها جاءت فالحُدُّ مُلحد

(١) جغرافية الشعراء ص(٧).

(٢) أزهار الرياض في أخبار عياض (٣/ ٢٥٩).

فنحمدُ رباً قد وقانا من الردى وبرأنا من قبح هذا التورد^(١)
وقال فيها السيد عبدالحميد الخطيب رحمه الله في تائيته:

أعني بها محبوبة المختار عائشة التي امتازت بخير صفات
إذ أكرم المولى النبي بها وأطلعه عليها قبل في زينات
وبنى بها في سن تسع ثم علمها ففازت منه بالحكمات
وغدت بحق أعلم الزوجات بل هي مرجع الفتيا وخير رواة
وهي التي بالإفك قد رميت فبرأها الإله بمحكم الآيات^(٢)

وحق لهذا الحديث - حديث الإفك - أن يثير لواعج الشعراء ويستخرج
مكامن الوجدان والإبداع لديهم، فهو:

- طليعة فن السيرة الذاتية تحدثت به رضي الله عنها عن تجربة شخصية فريدة
ومعاناة خاصة.

- قد صيغ صياغة أدبية رفيعة تدل على الثقافة الأدبية التي تتمتع بها راويته
رضي الله عنها.

- راويته أدبية فصيحة خطيبة راوية للشعر تحفظ فيما تذكر للبيد ألف بيت
وهو أقل مما تحفظ لسواه.

- حدثت بعده - أي حادث الإفك - وبعد وفاة النبي ﷺ أحداث سياسية
عنيفة، وافتقرت الأمة إلى أحزاب وفرق زادت من قيمة هذا الحديث،

(١) شعر ابن جابر الأندلسي ص(٦٥).

(٢) تائية الخطيب في سيرة المصطفى الحبيب ص(٤٢).

خصوصاً على الصعيد الطائفي .

وفي تطوافي بين كتب السيرة والتاريخ والأدب عثرت على نواذر وتحف من القصائد والآداب، وكان من بين ما عثرت عليه في فترات متباعدة باقة رائعة من قصائد وصفت حديث الإفك بخيال الشاعر ولغة الأديب .

قمت بجمع هذه القصائد وهي تنتمي إلى عصور مختلفة، ثم قدمت لها مقدمات اقتضاها الموضوع، وهي الترجمة لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع تسليط الضوء على الجانب الأدبي لديها .

ثم أوردت حديث الإفك مشروحاً من صحيح البخاري، وذيلت عليه بتعليقات بعض الأدباء والمفكرين .

وبعد ذلك أتيت بالقصائد ورتبتها زمنياً من القديم إلى الحديث، كما أنني ترجمت لشعرائها ترجمة تتناسب مع موضوع الكتاب، وشرحت بعض مفردات القصائد ما أمكنني ذلك .

ويظهر لي والله أعلم أن الذين كتبوا شعراً عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أو عن حديث الإفك كثير، وقد اطلعت على بعضه - سوى ما اخترت في كتابي - فوجدت أنه متردد بين أمرين قلما يتخلصان من بعضهما وهما:

١- أن تكون القصيدة ضعيفة ركيكة يغلب عليها عاطفة كاتبها، أما حصيلتها من الفن الشعري فلا تكاد تذكر، فهذه ليست قصيدة وكاتبها ليس بشاعر، وليس ثمة بعد تاريخي سيستفاد من توثيقها .

٢- أن تكون القصيدة في معرض الرد والمناقضة العنيفة، فربما تجد الشاعر يخرج عن حدود اللياقة والأدب فيكرس الخصومة واللجاجة

ويشتط في المحاجة فيند عن الشاعرية ويوغل بعيداً عن الإبداع .
لذا فإنني قد تجنبت القصائد التي لم تتخلص من ربقة هذين القيدين
اللذين لا يلتقيان مع الشاعرية البتة .
ثم إن هذا الكتاب ليس دراسة جمعية حصرية ببلوغرافية إن جاز التعبير ،
يقيّد فيها الكاتب كل ما وقع تحت يده ، لا إنما هو مجرد مختارات تمثل
فكري ومنهجيتي وذوقي الأدبي والتي أتصور أنها تلتقي إلى حد كبير مع
تطلعات مبرة الآل والأصحاب .

طلال مساعد العامر

١٨ جمادى الأولى ١٤٣١هـ

١ مايو ٢٠١٠م

الباب الأول: أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سيرة ورسالة

سيرة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

«أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوجة رسول الله ﷺ .
 أم عبد الله التيمية، فقيهة نساء الأمة؛ دخل بها رسول الله ﷺ في شوال في السنة الأولى^(١) وعمرها تسع سنين، وتزوجها قبل الهجرة بستين، وقيل: بثلاث، وهي بنت ست، وقيل: بنت سبع، وكانت تُذكرُ لجبير بن مطعم وتُسمى له، وكان رسول الله ﷺ قد أُرِيَ عائشة في المنام في سرقة من حرير متوفى خديجة، فقال: إن يكن هذا من عند الله يمضه، ثم تزوجها، وتوفي عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعمرها يومئذ ثمان عشرة سنة؛ قال أبو عمر ابن عبد البر: لم ينكح بكرة غيرها.

واستأذنت رسول الله ﷺ في الكنية فقال لها: اكتني بابنك عبد الله بن الزبير، يعني ابن أختها. وكان مسروق إذا حدث عن عائشة قال: حدثني الصادقة ابنة الصديق البريئة المبرأة بكذا وكذا. وقال أبو الضحى عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض، وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة. وقال هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة، ما كان ينزل بها

(١) على أصح الأقوال، كما أخرجه ابن سعد ومضى عليه الحافظ ابن حجر في الإصابة.

شيء إلا أنشدت فيه شعراً، وقال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل، وقال عمرو بن العاص: قلت لرسول الله ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: (عائشة)، قلت: فمن الرجال؟ قال: (أبوها) وقال ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»؛ وقالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام»، فقلت: عليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. وعنهما أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة^(١)، وقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها^(٢).

قال ابن عبد البر: أمر النبي ﷺ الذين رموا عائشة بالإفك حين نزل القرآن ببراءتها فجلدوا الحد ثمانين فيما ذكر جماعة من أئمة أهل السير والعلم بالخبر، وقال قوم: إن حسان بن ثابت لم يجلد معهم ولا يصح عنه أنه خاض في الإفك والقذف، ويزعمون أنه القائل (الطويل).

لقد ذاق عبد الله ما كان أهله وحمته إذ قالوا هجيراً ومسطح
عبد الله هو عبد الله بن أبي بن سلول، وآخرون يصححون جلد حسان،
ويزعمون أن هذا البيت لغير حسان.

وتوفيت رضي الله عنها سنة سبع وخمسين من الهجرة، وقيل سنة ثمان وخمسين،

(١) رواه الترمذي: ح (٣٨٨٠) وقال هذا حديث حسن غريب.

(٢) رواه البخاري: ح (٣٥٦٤).

وأمرت أن تدفن ليلاً، فدفنت بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير والقاسم بن محمد وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر؛ وروى لها الجماعة^(١).

معلمة الرجال:

ترجم لها أبو اسحاق الشيرازي في باب فقهاء الصحابة في كتابه طبقات الفقهاء، وقد أورد أقوالاً لجلّة من صحابة رسول الله ﷺ تشهد بعلو كعبها في العلم، كقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لو كانت امرأة تكون خليفة لكانت عائشة خليفة، وقول أبي موسى الأشعري: ما أشكل على أصحاب رسول الله ﷺ شيء فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً^(٢).

وقد جمع الإمام بدر الدين الزركشي أقوالاً أمّا عائشة رضي الله عنها في كثير من مسائل الفقه والعقيدة في كتابه القيم (الإجابة عما استدرسته عائشة على الصحابة) ومن خلال أقوالها فيه واستدراكاتها على الصحابة يظهر بجلاء تقدّم عائشة رضي الله عنها في العلم على كثير من صحابة رسول الله ﷺ.

وأورد في مقدمة كتابه ما يشير إلى هذا الفضل البهي وهذا الفخر السني حينما قال:

الحمد لله الذي جعل فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر

(١) الوافي بالوفيات، ج ١٦ ص (٣٤١).

(٢) طبقات الفقهاء ص (٤٧).

الطعام، وأعلى أعلام فتواها بين الأعلام، وألبسها حلة الشرف حيث جاء إلى سيد الخلق الملك بها في سرقة من حرير في المنام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنظمنا في أبناء أمهات المؤمنين، وتهدينا إلى سنن السنة آمين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أرشد إلى الشريعة البيضاء، وأعلن بفضل عائشة حتى قيل: خذوا شطر دينكم عن الحميراء، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صباح مساء، وعلى أزواجه اللواتي قيل في حقهن: (لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ) صلاة باقية في كل أوان دائمة ما اختلف الملوان.

وبعد، فهذا كتاب أجمع فيه ما تفردت به الصديقة رضي الله عنها أو خالفت فيه سواها برأي منها أو كان عندها فيه سنة بينة، أو زيادة علم متقنة، أو أنكرت فيه على علماء زمانها، أو رجع فيه إليها أجلة من أعيان أوانها، أو حررت من فتوى، أو اجتهدت فيه من رأي رآته أقوى^(١).

وقد عدّ الزركشي رحمة الله عليه في كتابه هذا أربعين منقبة لم تكن لغيرها من النساء.

كتب عنها الشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمته الله في كتابه رجال من التاريخ يقول: السيدة التي أثبتت للدنيا منذ أربعة عشر قرناً أن المرأة يمكن أن تكون أعلم من الرجال حتى يتعلموا منها، وأن تكون أرجل من الرجال، حتى يقتدوا بها، وأن تكون سياسية، وأن تكون محاربة، وأن تخلف في التاريخ دويماً تتناقل أصداءه العصور.

(١) الإجابة عما استدرسته عائشة على الصحابة ص(٢٧).

لم تتخرج من الجامعة، لم تكن في أيامها الجامعات، ولكنها كانت ولا تزال كما كانت تدرس آثارها في كلية الآداب، كما تدرس أبلغ النصوص الأدبية، وتقرأ فتواها في كليات الدين، كما تقرأ الأحاديث النبوية، ويبحث أعمالها كل مدرس لتاريخ العرب والإسلام، امرأة ملأت الدنيا، وشغلت الناس، على مرّ العصور^(١).

الأدبية الأربية:

قطفت من بستان النبوة أزاهير الفصحى، فراض لسانها وراق بيانها، أفادت من نبع البيان الصافي، فأفادت له الكلام البديع الراقي، فتناقلته كتب التاريخ والأدب حتى صار بلغة الناجع ومنية الأديب البارع.

قطف الرجال القول عند نباته وقطفت أنت القول لما نوراً
فهو المتبع بالمسامع إن مضى وهو المضاعف حسنه إن كُـرراً
قالت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: رَوّوا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم.

وقال المقداد بن الأسود: ما كنت أعلم أحداً من أصحاب رسول ﷺ أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وروى عنها ابن أبي مليكة: أنها كانت تنشد قول لبيد:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفِ كجلد الأجرِب

وتقول: رحم الله لبيداً فكيف لو أدرك زماننا هذا؟

ثم قالت: إني لأروي ألف بيت له، وإنه أقل ما أروي لغيره.

(١) رجال من التاريخ ص(٣١).

وأورد الشعبي أن عائشة قالت: رويت للبيد نحواً من ألف بيت، وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة. وعن هشام عن أبيه قال: ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتاً وأكثر^(١).

بل إنها كانت تروي لبعض من في عصرها من الشعراء، بل وتحاول أن تتحقق مما ترويه رضي الله عنها، روى ابن سعد في طبقاته عن ابن شهاب قال: فأخبرني إبراهيم بن عبدالرحمن بن أبي ربيعة أن أمه أم كلثوم بنت أبي بكر حدثته عن عائشة قالت: لما كان آخر حجة حَجَّها عمر بأمهات المؤمنين، قالت: إذ صدرنا عن عرفة مررتُ بالمحصب، سمعتُ رجلاً على راحلته يقول: أين كان عمر أمير المؤمنين؟ فسمعتُ رجلاً آخر يقول: ها هنا كان أمير المؤمنين: قال: فأناخ راحلته ثم رفع عَقِيرَتَه فقال:

عليك سَلامٌ من إمامٍ وبارَكْتَ يدُ الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامٍ ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تفتق
فلم يحرك ذاك الراكب ولم يدر من هو، فكنا نتحدث أنه من الجن، قال:
فقدِمَ عمر من تلك الحجة فطعن.

ثم قالت عائشة رضي الله عنها: من صاحب هذه الأبيات.

جزى الله خيراً من إمام وباركت

فقالوا: مزرد بن ضرار، قالت: فلقيت مزرداً بعد ذلك فحلف بالله ما

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٨ / ٢٣١).

شهد تلك السنة الموسم^(١).

وجاء ذكرها في طليعة بليغات النساء وفصيحاتهم في كتاب بلاغات النساء
للأديب أبي الفضل طيفور.

ذكرت والدها رضي الله عنها يوماً فاستغفرت وقالت كلاماً بليغاً جاء فيه قولها:
يا طول حزني وشجاي لم ألع على مشكول بعد رسول الله ﷺ لوعي على
أبي، طامن المصائب رزؤه، ثم أنشأت تقول:

إن ماء الجفون ينزحه الهم وتبقى الهموم والأحزان
ليس يأسو جوى المرازي ماءً سفحته الشؤون والأجفان^(٢)

وقد كانت رضي الله عنها حاضرة البديهة في الشعر، تحسن الاستشهاد في البيت
من الشعر في الموقف الملائم له، قال أبو بكر بن جعفر بن عمر: لما
حضرت أبا بكر الوفاة حضرته عائشة وهو يعالج الموت فتمثلت:

لعمرك ما يُغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فنظر إليها كالغضبان ثم قال: ليس كذلك ولكن: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ
بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]^(٣).

قال أبو الزناد: ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة بن الزبير فقليل له: ما
أرواك يا أبا عبد الله! قال: وما روايتي من رواية عائشة! ما كان ينزل بها
شيء إلا أنشدت فيه شعراً^(٤).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٣٣٣-٣٣٤).

(٢) بلاغات النساء. ص (١٣).

(٣) أدب الخلفاء الراشدين ص (٨١).

(٤) تاريخ دمشق (٤٠/٢٥٩).

وقد كان عروة بن الزبير أشد الناس حباً لخالته السيدة عائشة وإعظاماً لها وتوقيراً لسيرتها.

وقد وصفت رضي الله عنها بأنها خطيبة بليغة فصيحة، فعن الأحنف بن قيس قال: سمعت خطبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعدهم، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من في عائشة^(١).

وقال موسى بن طلحة: ما رأيت أحداً أفصح من عائشة.

وقد حدث القاسم بن محمد أن معاوية دخل على عائشة فكلمها، قال: فلما قام معاوية، اتكأ على يد مولاها ذكوان، فقال: واللّه ما سمعت قط أبلغ من عائشة، ليس رسول الله ﷺ^(٢).

ولا أدل على بلاغتها من حديث الإفك، وقد وقف منه الرواة وأساطين البلاغة موقف الإعجاب، وسوف نورد حديث الإفك كاملاً في كتابنا هذا.

لكنها رضي الله عنها كانت لها مواقف سياسية من الأحداث الكبرى التي حدثت بعد وفاة عمر رضي الله عنه، تطلبت منها هذه المواقف خطباً وبيانات تبين فيها عن رأيها، منها خطبتها في يوم الجمل:

أيها الناس، صه صه إن لي عليكم حقّ الأمومة وحرمة الموعظة، لا يتهمني إلا من عصى ربه، مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري، وأنا إحدى نسائه في الجنة، له ادخرنى ربي وسلمني، وبى ميز بين منافقكم ومؤمنكم، وبى رخص الله لكم في صعيد الأبواء، ثم أبى ثالث

(١) رواه الحاكم في المستدرک (١٢/٤).

(٢) سير أعلام النبلاء. (١٤٧/٢).

ثلاثة من المؤمنين، وثاني اثنين الله ثالثهما، وأول من سمي صديقاً، مضى رسول الله ﷺ راضياً عنه وطوّقه طوق الإمامة، ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبي بطرفيه ورتق لكم فتق النفاق، وأغاض نبع الردة، وأطفأ ما حش يهود وأنتم يومئذ جحظ العيون، تنظرون الغدرة وتسمعون الصيحة فرأب الثأي، وأوذم العطلة^(١)، وانتاش من المهواة، واجتحي دفين الداء حتى أعطن الوارد وأورد الصادر، وعلل الناهل، فقبضه الله واطئاً على هامات النفاق، مُذَكِّياً نار الحرب للمشركين، وانتظمت بضاعتكم بحبله، ثم ولي أمركم رجلاً مرعياً إذا ركن إليه، بعيد ما بين اللابتين عروكه للأذن بجنسه، صفوحاً عن أذاة الجاهلين، يقظان الليل في نصرة الإسلام، فسلك مسلك السابقة ففرّق شمل الفتنة، وجمع أعضادها جَمَعَ القرآن، وأنا نصب المسألة عن مسيري هذا لم ألتبس إثماً، ولم أدلس فتنة أوطئكموها، أقول قولِي هذا صدقاً وعدلاً وإعذاراً وإنذاراً، وأسأل الله أن يصلي على محمد وأن يُخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين^(٢).

ولا يخفى ما في هذه الخطبة من بيان ناصع، وعبارة مشرقة، ولفظ جزل، وثناء في المفردات، فهي بحق خطبة رائعة، وهي تؤكد إعجاب دهاة عصرها وبلغائه ببيانها من مثل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ والأحنف بن قيس وغيرهما.

- مراجع للمزيد من معرفة شخصيتها الباهرة:

وهذه بعض الكتب التي أفردت في الحديث عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

(١) رأب الثأي: أصلح الفساد، وأوذم العطلة: أي شد الدلو.

(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور (٢/٤٨).

- ١- الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة للإمام بدر الدين الزركشي .
- ٢- عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني .
- ٣- عائشة أم المؤمنين، زاهية مصطفى قدوره .
- ٤- السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، عبد الحميد طهماز وهو ضمن سلسلة أعلام المسلمين .
- ٥- سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، العلامة سليمان الندوي .
- ٦- الصديقة بنت الصديق للأديب عباس محمود العقاد .
- ٧- عائشة أم المؤمنين أيامها وسيرتها الكاملة في صفحات، د. محمد سعيد رمضان البوطي .
- ٨- قال ابن عباس حدثنا عائشة . د. فهد العربي الحارثي .
- ٩- حديث الإفك من المنظور الإعلامي، للدكتور علي رشوان .
- ١٠- صاحبة الحرير الأخضر للدكتور عبدالرحمن العشماوي .



الباب الثاني: حديث البراءة

لكي يحسن فهم القصائد وتصور معانيها يتوجب علي إيراد قصة حديث الإفك كما وردت في مجامع الحديث وكتب التاريخ والسير، وقد آثرت إيرادها من صحيح البخاري فهو أصحها، ومعاني القصائد لم تخرج عن ما ورد فيه.

وهذا الحديث يعتبر من روائع القصص، ومن عيون موارد الأدب، فيه دقة اللغة وروعة البيان، وأسلوب القصص البديع الذي صهر الحدث والأشخاص والحوار في بنیان أدبي متماسك.

نص حديث الإفك:

حدثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ، وَأَثْبَتَ لَهُ اقْتِصَاصًا، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ. قَالُوا: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيُّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ

الْحِجَابُ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهْبَلْنَ، وَلَمْ يَعْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِفَةَ الْهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ فَسَارَوْا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنَزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنَزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنَزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي، وَكَانَ رَأَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكَبْتُهَا، فَاِنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نُزُولٌ، قَالَتْ: فَهَلْكَ فِي مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبَرَ الْإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولَ. قَالَ عُرْوَةُ: أَخْبَرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيَتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ، فَيَقْرُءُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ. وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضًا: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ أَيْضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ

جَحْشٍ، فِي نَاسٍ آخَرِينَ لَا عِلْمَ لِي بِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنَّ كُبْرَ ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولَ.

قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يَسْبَ عِنْدَهَا حَسَانٌ، وَتَقُولُ: إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يُرِيدُنِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: (كَيْفَ تَيْكُمُ). ثُمَّ يُنْصَرِفُ، فَذَلِكَ يُرِيدُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالْشَرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَعْتُ، فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحَ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ، وَكَانَ مُتَبَرِّزَنَا، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، قَالَتْ: وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الْبَرِيَّةِ قَبْلَ الْعَائِطِ، وَكُنَّا نَتَّأَذَى بِالْكُنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بَيْتِنَا، قَالَتْ: فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحَ، وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُحْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحَ قَبْلَ بَيْتِي حِينَ فَرَعْنَا مَنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرْتُ أُمُّ مِسْطَحَ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحَ، فَقُلْتُ لَهَا: بِشَسَ مَا قُلْتَ، أَتُسَبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ: أَيْ هُنْتَاهُ وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: وَقُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، قَالَتْ: فَارْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ قَالَ: (كَيْفَ

تِيكُمْ). فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذُنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوْنِي عَلَيْكَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا. قَالَتْ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوْ لَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، حِينَ اسْتَلَبْتَ الْوَحْيَ، يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصُدِّقُكَ. قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «أَيُّ بَرِيرَةَ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكَ». قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُ أَغْمِضُهُ غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعَذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي». قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُقْمَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ، أَمَرْنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتُ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ

احْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَتَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. قَالَتْ: فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَفْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْفِضُهُمْ، حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، قَالَتْ: وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، وَقَدْ بَكَيتُ لِيلَتَيْنِ وَيَوْمًا، لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لَأُظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي، فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسْتُ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلُهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيَبْرُئُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ، فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَتْ أُمِّي: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ، وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ لَا أَفْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ كَثِيرًا: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَيْنَ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، لَا تُصَدِّقُونِي، وَلَيْنَ

اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيَّةٌ، لَتُصَدِّقَنِي، فَوَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيَّةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلُ فِي شَأْنِي وَحِيًّا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرِ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئِي اللَّهَ بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبَرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ الْعَرَقِ مِثْلُ الْجَمَانِ، وَهُوَ فِي يَوْمِ شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَسُرِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأكَ». قَالَتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَتْ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾. الْعَشْرَ الْآيَاتِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَارْجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ لَزَيْنَبَ: «مَاذَا عَلِمْتَ، أَوْ رَأَيْتِ». فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِنِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللَّهُ

بِالْوَرَعِ. قَالَتْ: وَطَفِقْتُ أُحْتَهَا حَمْنَةً تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكْتُ فِيْمَنْ هَلَكَ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَهَذَا الَّذِي بَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ.

ثُمَّ قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لِيَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أَثْنَى قَطُّ، قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(١).

نظم حديث الإفك:

نظم الشيخ محمد بن محمد اليعقوبي حديث الإفك كاملاً يقول:

حَمْدًا لِمَنْ بِالْصَّدَقِ فِي الْقَوْلِ أَمْرٌ	كَلَّ الْعِبَادَ وَعَنِ الْإِفْكَ زَجْرٌ
صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِ	وَالْآلِ وَالصَّحْبِ الْأَجَلَةِ الْغُرَرِ
وَبَعْدُ ذِي مَنْظُومَةٍ مَخْتَصَةٍ	بِقِصَّةِ الْإِفْكَ تَفِي بِالْقِصَّةِ
مِنْ كُتُبِ الصَّحِيحِ نَسْتَوْفِيهَا	خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقَعَ إِفْكَ فِيهَا
مِثْلَ الَّذِي وَرَدَ فِي الْبَخَارِيِّ	وَمُسْلِمٍ فِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ
وَالْإِفْكَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَقَعَا	لَمَّا غَزَا خَيْرُ الْوَرَى الْمُرَيْسَعَا
وَكَانَ مِنْ دَأْبِ شَفِيعِ الشُّفَعَا	إِذَا أَرَادَ سَفْرًا أَنْ يُقْرِعَا
بَيْنَ نِسَائِهِ فَمَنْ مِنْ نِسْوَتِهِ	خَرَجَ سَهْمُهَا مَضَتْ فِي صُحْبَتِهِ
فَأَقْرَعَ النَّبِيُّ لَدَى إِرَادَتِهِ	لِهَذِهِ بَيْنَ النِّسَاءِ كَعَادَتِهِ
فَخَرَجَ السَّهْمُ هُنَا لِعَائِشَةَ	وَلَمْ تَكُنْ ذَاتِ سِهَامٍ طَائِشَةَ

(١) صحيح البخاري حديث رقم (٤١٤١).

وكانَ ذا فيما روى الأنجَابُ
وكانتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ تُحْمَلُ
فَنَزَلَ النَّبِيُّ بِذَاكَ الْجَيْشِ
وَبَاتَ بِالْمَنْزِلِ بَعْضَ اللَّيْلِ
فَخَرَجَتْ لِحَاجَةٍ وَرَجَعَتْ
وَفَقَدَتْ عِقْدًا لَهَا وَذَهَبَتْ
وَلَمْ يَكُونُوا عَلِمُوا خُرُوجَهَا
وَحَسَبُوهَا فِيهِ، إِذْ ذَاكَ الزَّمَنُ
وَأَخَذُوا مِنْ ذَا خُرُوجِ الْأَهْلِ
فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِ الْعَسْكَرِ
فَقَصَدَتْ مَكَانَهَا إِذْ رَجَعَتْ
تَظُنُّ أَنَّ الْقَوْمَ يَفْقِدُونَهَا
فَعَلَبَتْهَا عَيْنُهَا فَنَامَتْ
نَجْلُ الْمَعْطَلِ الْحَنِيفُ السَّالِكُ
كَانَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ تَخَلَّفَا
عَرَفَهَا وَلَيْسَ ذَاكَ بِعُجَابٍ
مَا سَمِعَتْ مِنْهُ سَوَى اسْتِرْجَاعِهِ
فَرَكِبَتْ بِعَيْرِهِ إِذْ قَرَّبَهُ

مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ نَزَلَ الْحِجَابُ
فِي هَوْدَجٍ لَهَا وَفِيهِ تَنْزِلُ
أَتْنَا قُفُولَهُمْ بِذَاتِ الْجَيْشِ
وَبَعْدَ ذَا أُذُنَ بِالرَّحِيلِ
وَالنَّاسُ فِي الرَّحِيلِ كَانَتْ شَرَعَتْ
تَطْلُبُهُ هُنَاكَ فِيمَا قَدْ نَبَتْ
فَاحْتَمَلُوا مِنْ بَعْدِهَا هَوْدَجَهَا
نَسَاؤُهُ لَمْ يَتَّسَمَنَّ بِالسَّمَنِ
لِحَاجَةٍ بَدُونِ إِذْنِ الْبُعْلِ
إِذْ وُجِدَتْ وَمَا بِهِ مِنْ بَشَرٍ
وَضَرَبَتْ جِلْبَابَهَا وَاضْطَجَعَتْ
وَسَوْفَ يَرْجِعُونَ يَطْلُبُونَهَا
فَمَرَّ صَفْوَانُ بَنِي سَلَمَةَ
سُبُلَ الْهَدْيِ بِأَمْنٍ هُنَاكَ
وَلَمْ يَبْتَ مَعَ الْهُدَاةِ الْحُنَفَا
لَأَنَّهُ أَبْصَرَهَا قَبْلَ الْحِجَابِ
فَاسْتَيْقَظَتْ فِي الْحَيْنِ مِنْ سَمَاعِهِ
مِنْهَا وَقَدْ أَمْسَكَهُ لِتَرْكَبَهُ

بالجيشِ لكنْ جيشُ طه سَبَقَا
 طلعَ وهو قائدٌ بها الجَمَلِ
 وذاك لا عِلْمَ به لعائِشَة
 وبلغَ الحديثُ صَفْوَة الجَلِيلِ
 بذلكِ إلا أنَّها قدْ أنْكَرَتْ
 والبَعْضَ مِنْ حَنَانِهِ وعُظْفِهِ
 ولا يقولُ غَيْرَ كَيْفَ تِيكُمُ
 ولمْ تَكُنْ قدْ عَلِمَتْ بالأَمْرِ
 طيْبَة ليلًا مع أمِّ مِسْطَحِ
 مألوفةٌ عندهمُ فيما أَلْفِ
 بنتُ أبي رَهمٍ سَلِيلِ الْمُطَلِّبِ
 والأمُّ بنتُ صَخْرٍ بنِ عامِرِ
 وذا إلى عبادِ بنِ الْمُطَلِّبِ
 جا في اسمه هل عامرُ أو عوفُ
 كما حَكَاه النُّوَوِيُّ سَلَمَى
 رَهمُ رَفيقَة ظَعيْنَة النَّبِيِّ
 مِسْطَحُ أي شقي والمُرْط الكِسا
 قلتُ تُسَبِّين حَنِيفاً مسلماً

فقدَ مسرِعاً بها ليلَحقا
 وبَعْدَ ما بَطِيبَة الجيشُ نَزَلَ
 ثم أشاعَ أهلُ الإفكِ الفاحِشَة
 فمرَضَتْ بَعْدَ القُدومِ بقليلِ
 ووالدي عائِشَة وما دَرَتْ
 مِنْ أَفْضَلِ الأَنامِ بَعْضَ لُطْفِهِ
 كان إذا ما جاءها يُسَلِّمُ
 فَنَقَّهَتْ مِنْ بَعْدِ قَرَبِ شَهْرِ
 وَخَرَجَتْ لِفَسْحَةٍ مِنْ فُسْحِ
 وهي المَناصِعُ ولمْ تَكُ الكُنْفُ
 وأمُّ مِسْطَحِ إذا رُمِتَ النَّسَبُ
 وهي خالَة أبي بكرِ السَّرِيِّ
 وَمِسْطَحُ إلى أثائَة انتَسَبِ
 وَمِسْطَحُ لِقَبِّهِ والخُلْفُ
 واعْلَمْ بأنَّ أُمَّه تُسَمَّى
 فعَثَرَتْ في مُرْطِها بِنْتُ أَبِي
 في سَيرِها ذاك فقالت تَعَسَا
 قالت لها عائِشَة لَيْسَما

شَهِدَ بَدْرًا مَعَ خَيْرِ الرُّسُلِ وَهُوَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِ
 قَالَتْ لَهَا أَمَّا سَمِعْتَ مَا ذَكَرَ وَقَوْمُهُ وَأَخْبَرْتَهَا بِالْخَبَرِ
 فَرَادَهَا ذَا مَرَضًا وَاشْتَكَّتْ أَشَدَّ مِنْ مَا قَدْ مَضَى وَبَكَتْ
 وَاسْتَأْذَنْتْ خَيْرَ الْوَرَى وَمَا أَبِي فِي أَنْ تَزُورَ الْأُمَّ إِذَا وَالْأَبَا
 تَرِيدُ مِنْهُمَا تَيَقُّنَ الْخَبَرَ فَسَأَلْتُ الْأُمَّ كَمَا جَا فِي الْخَبَرِ
 فَلَمْ تَزِدْهَا فِيهِ إِلَّا الْأُمْرَا بِأَنْ تُهَوَّنَ عَلَيْهَا الْأُمْرَا
 وَأُمُّ أُمَّنَا تُكَنِّي أَمَّا رُومَانَ وَأَعْلَمَ أَنَّهَا تُسَمِّي
 زَيْنَبُ بِنْتُ عَبْدِ دَهْمَانَ وَإِنْ سَأَلْتُ مِمَّنْ هُوَ قُلْتُ لَكَ مِنْ
 بَنِي فِرَاسِ ابْنِ غَنَمِ ابْنِ مَا لَكَ الَّذِي إِلَى كِنَانَةَ انْتَمَى
 وَقَدْ بَكَتْ لَيْلَتَهَا وَيَوْمَهَا وَفَقَدَتْ رَاحَتَهَا وَنَوْمَهَا
 ثُمَّ اسْتَشَارَ فِي فِرَاقِهَا النَّبِيَّ الْأَتَقَى عَلِيًّا وَأَسَامَةَ الْأَبِي
 أَمَّا أُسَامَةُ فَخَيْرًا ذَكَرَا عَنْهَا وَقَالَ ذَاكَ إِنْكَ مُفْتَرَى
 وَقَالَ الْآخَرُ - كَمَا فِي ابْنِ كَثِيرٍ وَغَيْرِهِ - النِّسَاءُ غَيْرُهَا كَثِيرُ
 وَسَلْ بَرِيرَةَ فَإِنَّهَا تَقُولُ لَكَ الْحَقِيقَةَ فَسَأَلَهَا الرَّسُولُ
 فَلَمْ تَقُلْ وَلَنْ تَقُولَ غَيْرًا وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا
 أَوْ أَنَّهَا تَنَامُ عَمَّا أَعْجَزُ لَهُمْ فَتَأْكُلُ الْعَجِينَ الدَّاجِنُ
 فَخَطَبَ النَّاسَ إِمَامُ الرُّسُلِ وَقَالَ مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ
 بَلَّغَنِي مِنْهُ الْأَذَى فِي أَهْلِي وَهُمْ بِخَيْرٍ عُرِفُوا وَفَضِّلِ

وهو بما يقول أيضاً قَذَفَا
ولم يكن يدخل بيتي إلا
وابن أبي قاصداً إذ أمره
فقال سعد بن معاذ نَضْرِبُ
وإن يكن من خَزْرَجٍ فَمُرْنَا
فاحتملت حمية بعض الرجال
لابن معاذ لم تقل ما قلنا
أن المراد من رجال الخَزْرَجِ
وقال لو كان من الأوس لما
وعند ذا قال أسيد بن حضير
لابن عباد كذبت عن يقين
وكاد أن يقع شرُّ بأس
فنزل النبي عن منبره
وجاء عائشة ذو الفَخَارِ
ودمعهما يسيل في انهما
فحمد الله وقال يا عا
وسئبرئك إن بريئة
أو كنت قد قارفت سوء توبي

صفوان وهو بالجميل عرفاً
إن كنت حاضراً وإلا ولّي
كان هو الذي تولّى كبره
عُنَقَه إذا للأوس يُنسبُ
فما به أمرتنا فعلنا
وهو سعد بن عبادة فقال
أنفاً إلا بعدما علمنا
وما تقول هو عين البهرج
كنت تحب قتله وأقسماً
وهو ابن عم ابن معاذ الأمير
أنت تجادل عن المنافقين
هناك بين خزرج وأوس
من بعد حسم ما جرى بأسره
والوالدان معها في الدار
هي ومراة من الأنصار
ثشة قد سمعت ما قد شاعا
من ذاك كنت باري البريئة
لله فهو غافر الذنوب

فَقَلَّصَ الدَّمْعَ وَقَالَتْ لِأَبِي
 وَفِيهِ تَقْدِيمُ الْكَبِيرِ لِلْكَلَامِ
 فَقَالَ لَا أَدْرِي بِمَا أُجِيبُ
 فَطَلَبْتُ جَوَابَ الْأَمِّ لِلنَّبِيِّ
 قَالَتْ لَهُمْ وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُمْ
 وَلَسْتُمْ مُصَدِّقِينَ قَوْلَنَا
 فِي قَوْلِهِ صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكَرَّرْتُ
 مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ اعْتَرَى
 مِنْ أَنْ يَجِيءَ فِيهِ وَحْيٌ يُتْلَى
 لَكِنَّهَا كَانَتْ تَوَدُّ أَنْ يُرَى
 فَلَمْ يَقُمْ طَهٌ مِنَ الْمَكَانِ
 فِي عَشْرِ آيَاتٍ لَهَا ابْتِدَاءُ
 فَقَالَ أَبْشِرِي فَمِنْ ذِي الْفَاحِشَةِ
 قَالَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِحَمْدِكَ
 فَخَطَبَ النَّاسَ النَّبِيُّ وَتَلَا
 وَكَانَ مِمَّا كَانَ فِيهِ يَسْبَحُ
 وَبُنْتُ جَحْشٍ حَمْنَةً تَفْشِيهِ
 هَذَا وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ الْمُجْتَبَى

بَكَرَ أَيَا أَبِي أَجَبَ عَنِي النَّبِيُّ
 مَعَ أُولَى الْأَمْرِ فِي الْمُهَمَّاتِ الْعِظَامِ
 خَيْرَ الْوَرَى وَالذُّهَا الْأَدِيبِ
 فَلَمْ تَقُلْ إِلَّا كَقَوْلَةِ الْأَبِ
 هَذَا الْحَدِيثَ وَبِهِ صَدَّقْتُمْ
 وَفِي أَبِي يَوْسُفَ أَسْوَةً لَنَا
 لِتَذْكَرَ اسْمَهُ وَمَا تَذَكَّرْتُ
 وَكَانَ عِنْدَهَا الْمَقَالُ أَحْقَرَا
 وَفِي الْمَسَاجِدِ بِهِ يُصَلَّى
 تَكْذِيبُهُ فِي النَّوْمِ أَفْضَلُ الْوَرَى
 حَتَّى أَتَتْ بِرَأَاةِ الْقُرْآنِ
 بِقَوْلِهِ: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا...)
 بَرَأُكَ اللَّهُ - عَلَا - يَا عَائِشَةُ
 هُوَ الَّذِي بَرَأَنِي مِنْ ذَلِكَ
 مَا فِي الْبِرَاءَةِ عَلَيْهِ نَزَلَا
 حَسَانُ نَجْلٌ ثَابِتٌ وَمِسْطَحٌ
 لِأَجْلِ أَخْتِهَا وَتَسْتَوْشِيهِ
 يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ أَيْضاً زَيْنَبَا

تَقُولُ أَحْمِي مِنْهُ سَمْعِي وَالبَصَرُ
 حَلَفَ مَا كَشَفَ قَطُّ عَنْ كَنَفِ
 وَقَدْ كَفَاكَ أَنَّهُ سَعِيدَا
 ثُمَّ أَقِيمَ الْحَدُّ فِي ابْنِ ثَابِتِ
 وَكَانَ قَبْلَ ذَا أَبُو بَكْرٍ الْأَبْرُ
 لِقُرْبِهِ وَفَقْرِهِ فَقَالَ لَا
 إِلَى رَحِيمِ قَوْلِهِ لَا يَأْتِلِ
 فَرَدَّ الْإِنْفَاقَ لَهُ وَقَالَ لَا
 وَهَذِهِ الْآيَةُ أَرْجَى آيَةٍ
 نَرْجُو مِنْ اللَّهِ بِهَا الْغُفْرَانَا
 وَتَمَّ مَا كُنْتُ أَرَدْتُ نَظْمَهُ
 صَلَّى عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ
 وَعِنْدَمَا بَلَغَ صَفْوَانَ الْخَبْرُ
 أَنْشَى وَقَدْ كَفَاكَ أَنَّهُ حَلَفُ
 مَمَاتِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا شَهِيدَا
 وَمُسْطَحٍ وَحَمْنَةٍ فِي الثَّابِتِ
 يُنْفِقُ مَسْطَحًا كَمَا جَا فِي الْخَبْرِ
 أَنْفَعُهُ مِنْ بَعْدِهَا فَنَزَلَا
 قَالَ: بَلَى أَحَبُّ أَنْ يُغْفَرَ لِي
 أَنْزَعُهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ وَائْتَلَى
 فِي قَوْلٍ بَعْضٍ مِنْ أُولَى الدَّرَايَةِ
 وَالْفُضْلَ وَالرَّحْمَةَ وَالْإِحْسَانَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَتَمَّهُ
 وَآلَهُ وَالصَّحْبَ الْأَتْقِيَاءَ^(١)
 حَدِيثُ الْإِنْفَاقِ عِنْدَ رَوَادِ الْأَدَبِ وَالْفَلَكِ:

بحق إنه لمن روائع القصص ومن عيون الأدب ظهرت فيه متانة اللغة
 وجزالة اللفظ وجمال الأسلوب ولطف الإشارة وإشراقة التعبير وعمق
 التجربة النفسية لا غرو أن يكون لهذه التجربة المؤلمة لأم المؤمنين عائشة
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ظلالها على الأدب والأدباء خصوصاً أنها قد عبرت عنها بأنفس
 تعبير وأبهاه.

(١) حديث الإفك (٩٩).

قال الشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمته الله عن حديث الإفك :

هذا الحديث الذي حدثت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها منطلقة على سجيتها، هو في الواقع قصة أدبية كاملة، فيها كل صفات القصة، ومثله حديث كعب بن مالك لما تخلف عن تبوك، وحديث عمر لما قيل له إن رسول الله ﷺ طلق نساءه^(١).

وها هو ذا الأديب الناقد سيد قطب رحمته الله يتفاعل مع تجربتها من خلال حديث الإفك، بما احتوى من مشاعر وصور وأحداث ومعانٍ، فيقول :

وإن الإنسان ليقف متملماً أمام هذه الصورة الفظيعة لتلك الفترة الأليمة في حياة الرسول ﷺ، وأمام تلك الآلام العميقة اللاذعة لعائشة وزوجها المقربة، وهي فتاة صغيرة في نحو السادسة عشرة، تلك السن المليئة بالحساسية المرهفة والرفرفة الشفيقة.

فها هي ذي عائشة الطيبة الطاهرة، ها هي ذي في براءتها ووضاءة ضميرها، ونظافة تصوراتها، ها هي ذي ترمى في أعز ما تعتز به، ترمى في شرفها، وهي ابنة الصديق، الناشئة في العش الطاهر الرفيع، وترمى في أمانتها، وهي زوج محمد بن عبد الله من ذروة بني هاشم، وترمى في وفائها، وهي الحبيبة المدللة القريبة من ذلك القلب الكبير.. ثم ترمى في إيمانها، وهي المسلمة الناشئة في حجر الإسلام، من أول يوم تفتحت عيناها فيه على الحياة، وهي زوج رسول الله ﷺ.

ها هي ذي ترمى ، وهي بريئة غارة غافلة ، لا تحتاط لشيء ، ولا تتوقع

(١) أبو بكر الصديق / الطنطاوي ص(١٢٨)

شيئاً؛ فلا تجد ما يبرئها إلا أن ترجو في جناب الله ، وتترقب أن يرى رسول الله رؤيا تبرئها مما رميت به ، ولكن الوحي يتلبث ، لحكمة يريد بها الله ، شهراً كاملاً ، وهي في مثل هذا العذاب^(١).

وقد تعرض الأديب عباس محمود العقاد لمذاهب المستشرقين في حديث الإفك قائلاً :

فمن هؤلاء من غلب عليه أدب التربية فاستبعد حديث الإفك كما فعل (موير) حيث قال بعد الإشارة إليه : إن عائشة قبل الحادث وبعده لتوجب علينا أن نعتقد براءتها من التهمة .

ومنهم من نقل الحكاية وخلطها بالمعجزات التي لا يصدقها غير المسلم ، كما فعل «واشنطن ارفنج» في سيرة النبي ﷺ فلم يقطع بنفي صريح ، وترك الباب مفتوحاً للأقاويل .

ومنهم من جاوز الحقيقة في وصف ما جاءت به الروايات ، فزعم أن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابتعدت عن النبي ﷺ يوماً كاملاً قضته في صحبة صفوان خلافاً لما جاء في كل قصة نقلت إلينا عن حديث الإفك ، ونعني به «روديل» ، وهؤلاء مع هذا هم أشد المستشرقين تقية وحذراً في تعرضهم لهذا الحديث^(٢).

ثم أخذ رَحِمَهُ اللَّهُ ينفذ بأسلوبه الأدبي المشرق وبطريقته الجدلية المقنعة خطل اتهام أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قائلاً :

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٤٩٨).

(٢) الصديقة بنت الصديق .

تلك شبهة لا تكفي للشك في امرأة من عامة المسلمين الخارجين للجهاد في حضرة نبي الإسلام ﷺ، إذ لو كانت كل امرأة تتأخر في الطريق تؤخذ بالتهمة في دينها وعرضها لكانت التهم في الأعراض أهون شيء يخطر على بال، بل لو تأخرت كل امرأة في الركب غير السيدة عائشة رضي الله عنها لجاز أن تلحق بها شبهة من هذا التأخير، لأن الركب لم تكن فيه امرأة غيرها، يهابها الموكلون بهودجها أن ينادوها ليتأكدوا من وجودها، ولم تكن فيه امرأة أخرى تهاب الرقبة من جيش المسلمين كما تهابها، وهي زوج النبي ﷺ وبنت الصديق رضي الله عنه، وقد كان أبوها يحمل راية المهاجرين في تلك الغزوة بعينها.

وعلى الذي يقبل وشاية كتلك الوشاية الواهية أن يروض عقله على تصديق أمور كثيرة لا موجب لتصديقها، لأنها تفتقر إلى كل دليل والأدلة على ما ينقضها كثير.

عليه أن يصدق أن صفوان بن المعطل كان رجلاً لا يؤمن بالنبي ﷺ ولا بأحكام الإسلام.

وأن يصدق أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت. وهي زوج النبي ﷺ. لا تؤمن به ولا تعمل بدينه.

ولا دليل على هذا ولا ذاك.

بل الأدلة على إيمان صفوان وإيمان عائشة رضي الله عنها تجرى في كل سياق وردت لهما سيرة فيه^(١).

وممن أفاض وأجاد في الحديث عن حادثة الإفك الشاعر د/ عبدالرحمن العشماوي خصوصاً وأنه قد أفرد عنها كتاباً أسماه (صاحبة الحرير الأخضر)،

(١) الصديقة بنت الصديق.

وقد وقف وقفة مفصلة مع حديث الإفك اشتملت على تحليل وشرح ونقد أدبي، قال د. العشماوي في تعليقه على حديث الإفك:

إن لغتنا العربية الفصحى لتتألق على لسان أمنا عائشة حتى رأيناها مشاعل مضيئة من البلاغة والبيان، وكان زيتها مستمداً من دموع أم المؤمنين التي لم ترقأ، حتى حمد صوت النفاق الأجش الذي انطلق بحشرجته مضخماً تلك الفرية الكاذبة.

ثم يقول بعد أن يعرض لمعاناة أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أذى المنافقين وأكاذيب المفسدين ومن صدقهم من ضعاف المؤمنين.

ولذلك فما إن بدأت أمنا الطاهرة بسرد قصتها حتى توافدت عليها العبارات والجمل، وتسابقت إليها الكلمات والصور متدفقة المعاني مشرقة الأسلوب بليغة الصورة عميقة الأثر.

هنا جو نفسي للإبداع لا نظير له، وهج معاناة، وغليان أسي، وحرقة ألم، ممزوجة بفرح غامر وسرور عميق بما مَنَّ اللَّهُ به عليها من البراءة والتزكية من فوق سبع سماوات.

إنه النص العائشي المتميز الذي:

يحمل من القصيدة وهجها وتدفعها.

ومن القصة آثارها وتسلسل أحداثها وتألق أشخاصها.

ومن الخطبة بلاغتها وقوة عباراتها.

ومن السيرة الذاتية سلامة عرضها وصدق تجربتها.

إن حديث الإفك نص أدبي متميز يجمع لنا خصائص أسلوب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الفنية.

ثم تابع قوله عن حديث الإفك في فقرة أخرى:

حديث الإفك نص أدبي جليل القدر، رفيع المكانة في مراتب البلاغة والبيان، فهو جميل العبارة، مشرق البيان، بديع التصوير، متماسك الأجزاء، متكامل الجوانب، حديث أدبي يعجب ويمتع ويرضي كل متذوق للأدب الراقي.

إنه قصة متكاملة تتوافر فيها جميع عناصر القصة من أحداث مثيرة وشخصيات متعددة وحوار وحبكة قصصية، وعقدة ظلت تشد الانتباه شداً قوياً حتى كان الحل بلسماً شافياً للصدر.

ثم أورد الدكتور عبدالرحمن العشماوي معالم الإبداع والجمال في قصة الإفك والتي منها:

- ١- الصدق في الرواية والوضوح في طرح جوانب القضية المثارة.
- ٢- دقة الوصف وتسلسل الأحداث وجمال السرد.
- ٣- تحقيق عنصر الإثارة وشدة الانتباه.
- ٤- الربط القوي بين أجزاء الحدث وعناصره ومواقفه ربطاً لا يتيح للمتلقي أن ينشغل عنه.
- ٥- نضاعة العبارة، وجمال الصور البلاغية، والتي منها:
(أذن بالرحيل . فالتست عقدي . لم يغشهن اللحم . قلص دمعي).
- ٦- الدقة في رسم الأشخاص وتحديد مواقفهم والتعريف بهم، وهذا دليل على علم عائشة وسعة اطلاعها^(١).

(١) صاحبة الحرير الأخضر (بتصرف) ص(١٧٢).

حديث الإفك... تربية وتأديب:

تأمل أدب النبوة المشرق في إشارات أم المؤمنين في حديثها العظيم، وما في كنياتها المفهمة من مندوحة الأدب الراقي عن المعاريض، على الرغم من مراره التجربة وعدالة القضية تأمل في قولها: «فلما قضيت شأني» تقصد لما قضت حاجتها، وفي قولها: «فهلك في من هلك» كناية عن الخوض في اتهامها في الإفك.

وكيف أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذكرت حسنة حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتغافلت عن سيئة خوضه في الإفك، كان ذلك في مدحه للنبي ﷺ وقوله:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
وما في هذا البيت من إشارة إلى فدائه لعرض النبي ﷺ والتي هي منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ومن آدابها التي لاح سناها وفاح شذاها من حديثها الرائع حسن ظنها بمن اتهمها واعتذارها لهم، انظر في قولها عن سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما عارض قتل زعيم المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول: «وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته حمية».

وحول موازينها التربوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال المفكر الإسلامي محمد أحمد الراشد في كتابه القيم العوائق في فصل عنوانه: «عائشة تطبق الميزان»:

وكذلك حال حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قذف عائشة، وبقي حبه في نفس النبي ﷺ وأصحابه وأجيال المسلمين من بعدهم، للذي كان عليه من المنافة بشعره عن رسول الله ﷺ، حتى أن عائشة ردت على ابن أختها

عروة بن الزبير بن العوام لما سبّه وقالت :

«يا ابن أختي : دعه ، فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ»^(١).

وقريب من ذلك شهادة أخرى لعائشة في أمر زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها ، فإنه كان بينهما ما يكون بين الضرائر ، وكان في زينب من الطباع ما يؤخذ عليها ، ولكن ذلك لم يمنع عائشة من إنصافها والثناء على فعالها الإيمانية ، فقالت :

«هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ في المنزلة عند رسول الله ﷺ ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله عز وجل وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به ، ما عدا سورة من حدة كانت فيها ، تسرع منها الفية»^(٢).

أي سريعة البرود بعد احتداد غضبها.

وقد وضعنا عائشة رضي الله عنها هنا أمام نموذجين ينتقلان بنا إلى خطابين :

نموذج زينب ، ونخاطب بمناسبته هؤلاء الدعاة من إخواننا الأحبة الذين نشهد لهم بالدين وصدق الحديث وابتدال أنفسهم في أعمال دعوة الإسلام ، لماذا تلازمهم حتى الآن فورات الغضب وحدة الألفاظ ويغلقهم العناد المتحدي أليس البحث الهادئ أولى؟ أو ليس الاقتداء بزينب في الرجوع السريع أجمل؟

ونموذج عائشة نفسها ، ونخاطب بمناسبته المتزمت المبالغ في تشدده ،

(١) صحيح مسلم ح (٢٤٨٧).

(٢) صحيح مسلم ح (٢٤٤٢).

الذي يظلم إخوانه، فلا يعترف بفضل ذي فضل واسع إذا هفا، والذي يظلم الدعوة، فلا يدعها تنتفع بذي اختصاص مفيد خلط مع كفايته خصلة يعاب عليها.

إن سمت التشدد، وطلب الصفات المتكاملة، إنما يجب للقادة والمرين، وأما ما دون ذلك فإن العمل الإسلامي ينتفع من كل إمكانية خير مهما ضمرت وصغرت، ويدير في فلكه كل متعاطف مهما أثقلت العيوب التي لا تعود بضرر على مجمل الدعاة.

وأولى لنا وأصوب أن نقندي بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في إنصافها، وبتلميذها سعيد بن المسيب لما أسرع فهم طريقتهما فأوجزها وصاغها بنداً في قانون الجرح والتعديل الإسلامي فقال:

«ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه: وَهَبْ نقصه لفضله».

والزم أخاك فإنَّ كلَّ أخٍ ترى فله مساوئ مرة ومحاسن^(١)

* * *

(١) العوائق ص (١٠٨).

حديث الإفك عند الشعراء:

إن ما اخترته في هذا الكتاب من القصائد المعبرة عن حديث الإفك، هي غيض من فيض من القصائد والمقطعات؛ التي تناولت فضائل الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أو صبرها وسموها في حديث الإفك، غير أنني ما اخترت هذه القصائد من هذا الفيض إلا لما توافر فيها من الروعة والإبداع والشاعرية، أو لأسباب أخرى ذكرتها في مظانها.

وهذا يعني أن القصائد التي ذكرت حديث الإفك، أو فضائل الصديقة رضي الله عنها كثيرة جداً، وسأشير بعجالة خاطفة لبعض من هذا الفيض الإبداعي الذي جادت به قرائح الشعراء والمبدعين من غير ما اخترت في هذا الكتاب، وكما قال العرب قديماً: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

* جمال الدين الصرصري:

فقد تعرض لفضائل الصديقة رضي الله عنها ومناقبها عديد من الشعراء في عصور مختلفة ومن هؤلاء الشعراء الإمام الشاعر جمال الدين الصرصري، وهو إمام من أعلام الحنابلة في عصره جمع بين الفقه والشعر، له ديوان وأغلب شعره في المديح النبوي، وله منظومة كبيرة في الفقه الحنبلي، ومختارات في المديح النبوي، قتله التتار يوم دخلوا بغداد عام (٦٥٦هـ)، جاءت إشارته عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في سياق حديثه عن فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه في عينته التي مطلعها:

تواضع لربِّ العرشِ علَّك تُرفعَ لقد فازَ عبدٌ للمهيمن يخضعُ

قال فيها:

وخيّرهم الصديق إذ هو منهم
وفي ليلة الغار افتداه بنفسه
وأتحفه بالبكر عائشة التي
فكان له صهراً وصلى وراءه
إلى السبق في الإسلام والبرّ أسرع
حذاراً عليه من أراقم تلسع^(١)
براءتها في سورة النور تسمع
النبي صلاة الصبح والصحب أجمع
* صوت من الأندلس:

وأشار إلى براءة الصديقة رضي الله عنها ومناقبها الشاعر المبدع ابن جابر الأندلسي
(ت ٧٨٠هـ) الذي تغنى شعره بالمديح النبوي الرائع فردد الكون ألحانه أزماناً
بعد أزمان، كيف لا وقد خصص في المديح النبوي ديواناً ضخماً كاملاً
أسماء نظم العقدين في مدح سيد الكونين، قال في مدحيته الشهيرة التي
ورى فيها بأسماء سور القرآن الكريم:

في كل فاتحة للقول معتبرة حق الثناء على المبعوث بالبقرة
وقد أشار الشاعر إلى حادثة الإفك في قصيدته البديعة بتلميح يغني عن
التصريح فاح منه شذى البراعة والإبداع، يقول:

وفي خديجة والزهرا وما ولدت
عن كل أزواجه أرضى وأوثر من
أقسمت لا زلت أهديهم شذى مدح
كالروض ينثر من أكمامه زهره
* الشيخ عثمان بن سند الوائلي:

وحينما رد الشيخ عثمان بن سند الوائلي (ت ١٢٤٢هـ) على إفك الشاعر

(١) أراقم: أفاعي.

العباسي دعبل الخزاعي في قصيدة له يطعن فيها بخلافة الصديق رضي الله عنه فما كان من الشيخ الشاعر عثمان إلا أن ضمن من قول حسان في أمنا عائشة في دفاعه عن الصديق رضي الله عنهم جميعاً، وهو مسلك بلاغي يدل على ما يتمتع به الشاعر من ثقافة واسعة، كما أنها تدل على لطف الإشارة وبراعة المأخذ والتضمين من الصديقة إلى الصديق في غرض واحد وهو الدفاع في قضيتيهما العادلتين:

وما ضرها قدح العداة بعرضها إذا هي عُدَّتْ في النسا الخفريات
فكم من حصان لا تزن بريبة رمتها بغايا الحي بالهفوات
ولو ضرها ضر البزاة إذا سمت صفير بغاث الطير في الوكنات
وهو يعني في هذه الأبيات البيعة لأبي بكر رضي الله عنه، إنها مذكرة دفاع وجدانية ناجحة استندت إلى كلمات الدفاع الشهيرة عن الطاهرة الصديقة بطلة القضية العادلة الخالدة التي ظلت نبزاً للحق والعدالة، وعبرة في الظلم والتجني وسلوى للصبر والبراءة.

حصان رزان لا تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
وفي موضع آخر من ديوانه النفيس الصارم القرضاب في نحر من سب أكارم الأصحاب، وهو ديوان قصره الشاعر على مدح الصحابة رضي الله عنهم من خلال الرد على الشاعر العباسي دعبل الخزاعي، الذي لم يخل ديوانه من سب لبعض جلة الصحابة رضي الله عنهم، قال الشاعر عثمان:

يا أمةً صرف الضلالُ قلوبها من ذا على نهج الشقا دلاك
فلقد هجوت المسلمين جميعهم وهم الخيار كما حكى مولاك

ورميت أقمار الهدى بنقائص لما بها رب السماء رماك
 أتدين أصحاب النبي لعهد نقصوا كذبت وجرت في دعواك
 فرميت زوجته بإفك فاحش واللّه برأها وما برّاك
 وصاك في أصحابه خيرا كما عن سبهم أبد السنين نهاك
 فجزيتهم بالسب بعد مدائح من ربهم عن ثلبهم تنهاك
 جاءت هذه القصيدة رداً على قول دعبل من قصيدة له :

يا أمة نقضت عهود نبيها أفمن إلى نقض العهود دعاك
 ويتضح من سياق القصيدة أنه يقصد بهذه الأمة التي نقضت العهود
 الصحابة رضي الله عنهم ، ولبس القول والادعاء .

* الشيخ يوسف النبهاني :

ومن الشعراء الذين أشادوا بفضائل الصديقة ونهوا بمناقبتها؛ الشيخ
 يوسف بن إسماعيل النبهاني صاحب كتاب المجموعة النبهانية في المدائح
 النبوية، رئيس محكمة الحقوق في بيروت، وقد ورد ذكره لأم المؤمنين
رضي الله عنها في قصيدته طيبة الفراء في مدح سيد الأنبياء، التي وازن بها همزية
 البوصيري الشهيرة، يقول في مطلعها :

نورك الكل والورى أجزاء يا نبياً من جنده الأنبياء
 ولم تخل هذه القصيدة من مبالغات معهودة في مثل هذه المواطن الشريفة
 هي محل نظر عند بعض علماء الشريعة لا تعيننا هنا بقدر ما يعيننا حديث
 الشاعر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، حيث قال في سياق حديثه عن

أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

وبروحي فخر النساء على
بنت صديقك الأحب من
أعلم العالمات في الناس عنها
ذات فضل لو كان يقسم في
من أراك الرحمن صورتها قبل
بين سحر لها ونحر وفاة
سهل الموت رؤية اليد في
رضي الله عن أبيها وعنهما
* الشاعر فهد بن علي العبودي:

وفي الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من دعاوى الأفاكين قال الشاعر
السعودي فهد بن علي العبودي في قصيدته (أم العفاف):

ولغ الوغد في فرات العفاف
غار وحل البهتان فيه غريقا
إنما أمنا حصان رزان
إن يكن للعفاف في الناس أم
برأ الله عرضها في كتاب
لم يزل نبعه ثريا نميرا
أيضر الفرات كيد الضعاف
ونقاء الأمواه يختال طاف
بل تسامى عن هذه الأوصاف
فهي رغم الأوباش أم العفاف
لا مست أيه أديم الشغاف
يعتفيه فيرتوي كل عاف

أفتأتي من بعده وتماري لا يماري فيه سوى الأجلاف
فأنت ترى من خلال ما عرضناه من مقطعات وأبيات أن تبرأة القرآن
الكريم للحصان الرزان أم المؤمنين هو علم في ذكرها، وشامة في جبين
الزمن، يشدو بها الشعراء، جيلاً بعد جيل.



الباب الثالث

ديوان الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

القصيدة الأولى: قصيدة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأحد أعظم العرب. ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريها، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، وحرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال.

بويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ سنة ١١ هـ، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق، واتفق له قواد أمناء كخالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد بن أبي سفيان، والمثنى ابن حارثة.

كان موصوفاً بالحلم والرافة بالعامّة، وكان خطيباً لسناً، وشجاعاً بطلاً،

مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفى في المدينة. له في كتب الحديث ١٤٢ حديثاً. قيل: كان لقبه «الصدّيق» في الجاهلية، وقيل: في الإسلام لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء. وأخباره كثيرة أفرد لها صاحب «أشهر مشاهير الإسلام» نحو مئة وخمسين صفحة. وأتى إبراهيم العبيدي في «عمدة التحقيق في بشائر آل الصدّيق» على كثير منها. ومما كتب في سيرته «أبو بكر الصدّيق» لمحمد حسين هيكل، و«أبو بكر الصدّيق» للشيخ علي الطنطاوي^(١).

قوله للشعر:

لا أتصور أن أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه كان شاعراً يعرف بالشعر لكنه لا يمتنع عليه أن يكون قد قال الشعر في مواطن قليلة مثله مثل أي عربي تجيش قريحته حيال أمرٍ اتفاقاً، وهذا ما نفهمه من قول الإمام الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة^(٢).

وقد وجد في فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية في دمشق مخطوط لديوان أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وقد حققه الأستاذ راجي الأسمر عام ١٩٩٧م، ورغم أن أبا بكر رضي الله عنه لا يعرف على أنه شاعر، وعلى الرغم من اطلاع الباحثين على تراثنا الأدبي إلا أنه لم يشر أحد منهم إلى أن لأبي بكر ديواناً أو على ما ينص على ذلك. ولكن قد يعثر على بعض الأبيات والمقطوعات الشعرية منسوبة إليه في بعض كتب التاريخ والأدب مثل لسان العرب وتاج العروس والسيرة النبوية وأنساب الأشراف وجمهرة

(١) الأعلام (١٠٢/٤).

(٢) تاريخ دمشق (٥٢٠/٤٢).

أشعار العرب وتاريخ دمشق وغيرها من الكتب .

يضاف إلى ما تقدم أنه قد أثر عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدد كبير من الخطب والوصايا والتوقيعات والمحاورات والرسائل والكتب والعهود والوثائق التي تدل على غزارة إنتاجه الأدبي ، كما أن المتأمل فيها يتأكد لديه بلاغته وفصاحته وربما استشهد في بعضها ببعض أبيات من الشعر كأبيات طفيل الغنوي التي استشهد بها في خطبة يثني بها على الأنصار ، يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

يا معشر الأنصار إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا وشاطرناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا فلكم وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي :

جزى الله عنا جعفراً حيث أزلت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملّونا ولو أن أمنا تلاقي الذي يلقون منا لملت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفأت وأظلت^(١)

لكنه يظل أمر قوله للشعر أمراً مشكوكاً فيه بين المؤرخين والأدباء ، خصوصاً إذا وجدنا أن أغلب هذا الشعر فيه ركة وضعف وسداجة في الأفكار وتناقض في المعاني وكسور في الأوزان وأخطاء في النحو ، وعلى أية حال فقد استقيت القصيدة التالية المنسوبة إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عدد من المراجع سأشير إليها وأثبتها لأنها تناسب غرض هذا الكتاب وهو قصائد الدفاع عن أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(١) أدب الخلفاء الراشدين ص(٤٠١) .

القصيدة:

قصيدة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :
قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمسطح في رمية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وكان يُدعى عوفاً :
يا عوف ويحك هلا قلت عارفةً من الكلام ولم تتبع (به) طمعا
فأدر كنت حُمياً معشرٍ أنفٍ فلم تكن قاطعاً يا عوف منقطعاً^(١)
أما حَزَنْتَ من الأَقْوامِ إذ حَسَدُوا من أن تقولَ وقد عايَنْتُه قَرَعاً^(٢)
لَمَّا رَأَيْتَ حَصَاناً غيرَ مُقْرِفةٍ أمانةَ الجيبِ لم تعلمَ لها خَضَعاً^(٣)
فيمن رماها وكنتم معشراً أنفاً في سيئ القول من لفظ الخنا سُرْعاً
فأنزلَ اللهَ عُذْراً في براءَتِها وبَيْنَ عوفٍ وبينَ الله ما صنعا
فإنْ أعشْ أجْزِ عوفاً في مقالته سوء الجزاء بما أَلْفَيْتُهُ تبعاً^(٤)

* * *

(١) الحمياً: شدة الغضب.

(٢) القرع: الخطر الوشيك.

(٣) حصان: عفيفة، أمانة الجيب: كناية عن العفاف والطهر، الخضع: الذل.

(٤) ديوان أبي بكر الصديق ص(٤٤)، مزيل الخلعة والجهل ص(٢٥٣)، حديث الإفك ص(١٨٣).

القصيدة الثانية: قصيدة الصحابية الجليلة كبشة بنت رافع رضي الله عنها :

هي كبشة بنت رافع بن عبيد الخدرية الأنصارية وهي أم سعد بن معاذ الصحابي، لها صحبة، عاشت حتى مات ابنها سعد ورثته بقولها: -

ويل أم سعد سعدًا صرامةً وقداً
لما خُرجَ بجنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه جعلت أمه تبكي، فقال لها عمر:
انظري ما تقولين يا أم سعد، فقال رسول الله ﷺ: «دعها يا عمر، كل باكية
مكثرة إلا أم سعد ما قالت من خير فلن تكذب»^(١).

القصيدة:

قالت أم سعد بن معاذ رضي الله عنها في الذين رموا عائشة من الشعر:

شهد الأوسُ كهلهَا وفتاها	والخماسي من نسلها والفطيمُ
ونساءُ الخزرجيين يشهدن	بحقٍّ وذلكم معلومٌ
أن ابنة الصديق كانت حصاناً	عفة الجيب دينها مستقيمٌ
تتقي الله في المغيب عليها	نعمة الله سترها ما تريمٌ
خير هذي النساءِ حالاً ونفساً	وأباً للعلی نماها كريمٌ
للموالي إذ رموها بإفكٍ	أخذتهم مقامعٌ وجحيمٌ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢٩٤/٨). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤٦٠/٤)، والحديث أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٣٦٩/١٠).

لَيْتَ مَنْ كَانَ قَدْ قَفَاهَا بِسَوْءٍ فِي حَطَامٍ حَتَّى يَتُوبَ اللَّئِيمُ
وَعَوَانٍ مِنَ الْحُرُوبِ تَلْظَى يَتَبَنَّى فَوْقَهَا عِقَابُ كَرِيمٍ
لَيْتَ سَعْدًا وَمَنْ رَمَاهَا بِسَوْءٍ فِي كِظَازٍ حَتَّى يَتُوبَ الظَّلُومُ^(١)

* * *

(١) حديث الإفك ص (١٨٣).

القصيدة الثالثة: حصان رزان:

للصحابي الشاعر/ حسان بن ثابت رضي الله عنهالشاعر/ حسان بن ثابت رضي الله عنه

(١٠٠-٥٤ هـ = ٦٧٤ م)

حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي، شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعمي قبيل وفاته.

لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً، لعل أصابته، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه، وكان يضرب بلسانه روثه أنفه من طوله. قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام، وكان شديد الهجاء، فحل الشعر. قال المبرد «في الكامل»: أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسان، فإنهم يعدون ستة في نسق، كلهم شاعر، وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، توفي في المدينة، وفي «ديوان شعره» ما بقي محفوظاً منه، وقد انقرض عقب حسان. ومما كتب في سيرته وشعره «أخبار حسان» للزبير بن بكار، و«حسان بن ثابت» لحنا نمر، ومثله لخلدون الكناني، ومثله لفؤاد البستاني^(١).

(١) الأعلام (١٧٥/٢).

من أشهر قصائده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصيدته في فتح مكة وقد تضمنت الرد على أبي
سفيان مطلعها:

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبداً وعبد الدار سادتها الإماء
هجوت محمداً وأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء
اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء
ومن مواقفه الشهيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معارضته لوفد بني تميم حين قال شاعرهم
الزبرقان ابن بدر:

نحن الكرام فلا حيّ يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع
فلما فرغ قال رسول الله ﷺ لحسان: قم يا حسان فأجب الرجل، فقال:
إن الذوائب من فھر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تُتَّبَعُ
يرضى بهم كلُّ من كانت سريره تقوى الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعا
ولحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرآة في النبي ﷺ أشهرها قوله:

بطيبة رسم للنبي ومعه منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آيات وباقي معالم وربيع له فيه مُصَلَّى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد^(١)

(١) تاريخ الأدب العربي / د. فروخ (١/٣٢٥).

أجمع الرواة أن حسناً أشعر المخضرمين، وقد سماه النبي ﷺ الحسام، وكان شعره يبلغ المشركين ما يبلغ السيف الحسام، حتى أن أحياء كثيرة أسلمت فزعاً من شعره، قال فيه النبي ﷺ كما ورد في السير: «لهو أشد عليهم من نضح النبل» وممن أسلم من شعر حسان: ابن الزبيري.

فقد خاطب ابن الزبيري حين هرب من النبي ﷺ يوم فتح مكة إلى نجران بأبيات آخرها.

غضب الإله على الزبيري وابنه وعذاب سوء في الحياة مقيم
فلما سمعها ابن الزبيري رجع إلى رسول ﷺ فأسلم وقال أبياتاً على وزن أبيات حسان وقافيتها يعتذر فيها إلى الرسول ﷺ ويعلن إيمانه وأولها:

منع الرقاد بلابلٌ وهموم والليل معتلج الرواق بهيم
وقد استحسن بعض الشعراء والنقاد فرائد من أبياته، منها ما ورد أن الحطيئة لما حضرته الوفاة قال: أبلغوا الأنصار أن أخاهم أمدح الناس، حيث يقول:

يُغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
وقال الأديب مجد الدين النشابى الكاتب: من أحسن ما سمعت من غرر أبياته:

وكنت إذا ما موكب صد موكبا لدى الروع يوم الورع وحدك موكبا^(١)

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء ص(٦٢).

وقد ذكر الناقد الأديب أبو عبيده إجماع النقاد على تفضيل حسان، يقول:
اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس ثم ثقيف،
وعلى أن أشعر أهل يثرب حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقد شفع لحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شعره في المنافحة عن رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أم
المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، خصوصاً أنه كان من الخائضين في حديث الإفك
كما ورد في بعض كتب السير، وتراجع عن ذلك في أبياته التي
سنوردها، فإذا ذكر عندها بسوء دافعت عنه ونهت عن شتمه، وذكروا أنه
لما مات مرَّ بجنازته على السيدة عائشة فنال بعض جلسائها منه فنهتهم
عن ذلك لقوله في رسول الله ﷺ :

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء^(١)
قصيدة حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

حصان^(٢) رزان ما تزُنُ بريبة وتصبحُ غرثى من لحوم الغوافل
حليّة خير الناس ديناً ومنصباً نبيّ الهدى والمكرّمات الفواضل
عقيلة^(٣) حيّ من لؤيّ بن غالب كرام المساعي مجدّها غير زائل
مُهدّبة قد طيّب الله^(٤) خيمها وطهرها من كلّ سوء وباطل
فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتم فلا رفعتُ سوطي إليّ أنا ملي

(١) حسان بن ثابت حياته وشعره ص (١٠٧).

(٢) حصان: عفيفة، ما تزُن: ما تتهم، غرثى: جائعة.

(٣) عقيلة: أي كريمة الحي.

(٤) طيب الله خيمها: أي أصلها.

وَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ^(١) بِهَا الدَّهْرَ بَلْ قَوْلُ امْرِئٍ بِي مَاحِلٍ
فَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيْثُ وَنُصْرَتِي لآلِ نَبِيِّ اللَّهِ زَيْنِ الْمَحَافِلِ
لَهُ رُتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تَقَاصَرُ عَنْهُ سَوْرَةُ^(٢) الْمُتَطَاوِلِ
رَأَيْتُكَ وَلِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ حُرَّةً مِنْ الْمُحْصَنَاتِ غَيْرَ ذَاتِ غَوَائِلِ^{(٣)(٤)}

* * *

(١) لائط : أي لاصق متهم بنسبه، ماحل : أي كاذب .

(٢) السورة : الغضب .

(٣) الغوائل : جمع غائلة أي الشر .

(٤) ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه ص (٣٧٧) .

القصيدة الرابعة: القصيدة الوضّاحية

للشاعر/موسى بن بهيج الأندلسي

ذكره ابن الأبار في التكملة لكتاب الصلة حيث قال:

موسى بن بهيج المغربي الواعظ، أندلسي من أهل المرية، نزل مصر،
يكنى أبا عمران كان من أهل العلم والأدب، وله في الزهد وغيره أشعار
حملت عنه، ذكره ابن خير، وكان أبو عمر المعروف بابن يمان الشاهد
ينشر لابن بهيج هذا:

إنما دنياك ساعة فاجعل الساعة طاعة
واحذر التقصير فيها واجتهد ما قدر ساعة
وإذا أحببت عزاً فالتمس عز القناعة^(١)

ويترجم له المقري في (نفح الطيب) في ذكره لمن رحل إلى المشرق
فقال: موسى بن بهيج المغربي الأندلسي الواعظ الفقيه، العالم، من أهل
المرية، نزل مصر يكنى أبا عمران، كان من أهل العلم والأدب، وله في
الزهد وغيره أشعار حملت عنه^(٢).

كما أن الحافظ أبو طاهر السلفي روى له شعراً في (معجم السفر) منه ما
قاله حين غاب عن عشائره مدة بالمشرق فعمل بمصر موشحاً منه قوله:

حكى نوح المستهام مما به من غرام

(١) التكملة لكتاب الصلة (١٧٥/٢).

(٢) نفح الطيب (٢٢١/٢).

نوحاً كنوح الحمام على ذرى الأكمام
غداً يجري بانسجام دمعاً كصوب الغمام
يشكو لكل الأنام ما بالحشا من كلام^(١)
ولم يذكر ابن الأبار ولا المقرئ سنة وفاته ولكنه كان حياً سنة ٤٩٦ هـ إذ
كان بمصر.

وقد استنبط العلامة المحقق عبدالله كنون رحمته الله من مجموعة المعلومات
التاريخية الواردة حول ابن بهيج مجموعة من الإشارات التاريخية حيث يقول:
وقد أوحى لنا هذا الوصف من أول وهلة أنه ربما «وربّ للتكثير» أطلق
عليه في المشرق، لأنه لا يصح أن يعرف به وهو في بلده الأندلس،
فالأندلسيون يُنسبون عادة إلى قبائلهم أو مدنها وقراهم، وقلما يجري
وصف الواعظ بينهم مقصوراً على شخص بعينه، وبالعكس من ذلك فإن
الشخص إذا اغترب كثيراً ما ينسى أصله وينسب إلى قطره فقط،
والوصف بالواعظ معهود في المشرق متداول، منذ أن ترك وصف القاصّ
الذي لم يُستعمل هو أيضاً في الأندلس ولا في المغرب عموماً.

وعليه يكون صاحبنا قد رحل إلى المشرق، وزاول هناك مهمّة الوعظ
فعرف بها ونُسب إلى قطره الأندلس، وتنوسي نسبُه الأصيل، بل تُنوسيت
ترجمته في بلده وفي المشرق، كما وقع لكثير غيره ممن رحل إلى
المشرق من المغرب أو إلى المغرب من المشرق، وقد كنا أشرنا إلى هذه
الحقيقة في تعريفنا بالواعظ البغدادي صاحب القصائد الوترية الشهيرة.

(١) معجم السفر (١٤٤).

وقد تحقق لنا هذا الاحتمال عندما اطلعنا على نسخة شرقية من القصيدة كتبت في مصر، وعليها سماع من الشيخ مرتضى الزبيدي شارح القاموس، متصل بناظمها، وقد جاء في آخر السماع أن الأفضل وزير مصر السُّنِّي أجازه عليها بمائة دينار لما بلغته.

والغريب في الأمر أن الوزير المشار إليه هو الأفضل بين أمير الجيوش بدر الجمالي وزير للمستنصر والمستعلي والآخر من خلفاء الفاطميين بمصر، وموضوع القصيدة يخالف ما كان سائداً من هؤلاء الخلفاء من طعن في الصحابة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلا أن الوزير أجازه، وينقضي العجب عندما يعلم أن هذا الوزير قد أظهر السنة وأبطل الكثير من البدع وكان من العدل وحسن السيرة على صفة جميلة^(١).

وقد احتفى العلماء بقصيدته في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حفاوة بالغة، وقد رواها سماعاً وكتابةً عدد غفير من العلماء منهم أئمة أعلام كأمثال الشمس الرملي وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري والحافظ ابن حجر والشيخ مرتضى الزبيدي صاحب كتاب تاج العروس وغيرهم.

وقد ذكر الشيخ المحقق نظام يعقوبي سلاسل أسانيد العلماء والرواة لهذه القصيدة مما يدل على عظم قدرها عندهم وقال راويها العلامة الزبيدي في مستهل سند روايتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن نزل براءة الصديقة في كتابه وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد...

(١) أنجم السياسة وقصائد أخرى (ص ٤٠).

ثم ذكر سلسلة السند، وقال عن القصيدة العلامة عبد الله كنون رَحِمَهُ اللَّهُ : وهي قصيدة في مناقب أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، اشتملت على ذكر فضائلها وفضائل والدها أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ومُجادلة الخصوم المبغضين لها المتقولين عليها، ومُحاجَّتهم بالدليل من الكتاب والسنة، في إيمان صادق ودفاع حار، وبالوقائع التاريخية الذي لا نزاع فيه من سيرتها العطرة؛ وسيرة أبيها الخليفة الأول رضوان الله عليه، وكل ذلك بأسلوب بارع وبيان رفيع، ونظام محكم متين. وإلى هذا وبقطع النظر عن كل اعتبار فالقصيدة تعبر عن عاطفة إنسانية رفيعة، لأنها تتخذ موقف المساندة بجانب سيدة شريفة أثناء أزمة هي أعنف أزمة تمر بها امرأة في حياتها، فتناضح عنها وعن كرامتها حتى تحتفظ لها بسمعتها الطيبة وذكرها الجميل.

ومما أبرَّ به صاحب هذه القصيدة، أنه جعلها على لسان السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نفسها فبعد المطلع الذي يُؤذن بمقصوده، تخلَّص في البيت الثاني إلى إعطائها الكلمة، فجعلها هي التي تُناظر وتُفاخر وتُدفع في نحور الأعداء بسلاح الحجة والبرهان الذي يُطوِّفهم الخزي والعار، فلو أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نطقت فعلاً بشعر في الموضوع، لما زادت على ما احتوته هذه القصيدة، وهي من هي قوة بيان وشدة عارضة.

وهذا مما يدل على بلاغة منشئها ومقدرته البيانية، وتمكُّنه من صناعة الشعر فضلاً عن رسوخ قدمه في المعرفة بعلم الحديث والسيرة النبوية والتاريخ وسائر العلوم الإسلامية^(١).

(١) أنجم السياسة وقصائد أخرى ص (٤١).

القصيدة الواضحة للشاعر/ ابن بهيج الأندلسي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العلامة كريم الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ الإمام
العلامة شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن
البليسي الشافعي:

أخبرتني الشیخة المکثرة أم الفضل هاجر القدسية، سماعاً عليها بسماعها
لها على ابن الشیخة، قال:

أخبرنا بها أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن قريش، قال:
أخبرنا بها الرشيد أبو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي العطار
الحافظ، قال:

أخبرنا بها أبو الطاهر عبد المنعم بن موهوب اليزني القاري إجازة، قال:
أنشدنا ناظمها أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي الحافظ،
عُرفَ بابن بهيج:

ما شَأْنُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَشَأْنِي	هُدْيَ الْمُحِبِّ لَهَا وَضَلَّ الشَّانِي
إِنِّي أَقُولُ مُبَيَّنًّا عَنْ فَضْلِهَا	وَمُتَرَجِّمًا عَنْ قَوْلِهَا بِلِسَانِي
يَا مُبْغِضِي لَا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ	فَالْبَيْتُ بَيْتِي وَالْمَكَانُ مَكَانِي
إِنِّي خُصِصْتُ عَلَى نِسَاءِ مُحَمَّدٍ	بِصِفَاتٍ بَرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعَانِي
وَسَبَقْتُهِنَّ إِلَى الْفَضَائِلِ كُلِّهَا	فَالسَّبْقُ سَبْقِي وَالْعِنَانُ عِنَانِي

فَالْيَوْمُ يَوْمِي وَالزَّمانُ زَمَانِي
اللَّهُ زَوَّجَنِي بِهِ وَحَبَّانِي
فَأَحَبَّنِي الْمُخْتَارُ حِينَ رَأَنِي
وَضَجِيعُهُ فِي مَنْزِلِي قَمَرَانِ
وَبَرَاءَتِي فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ بَرَّانِي
بَعْدَ الْبَرَاءَةِ بِالْقَبِيحِ رَمَانِي
إِفْكَاً وَسَبْحَ نَفْسِهِ فِي شَانِي
وَدَلِيلُ حُسْنِ طَهَارَتِي إِحْصَانِي
وَأَذَلَّ أَهْلَ الْإِفْكَ وَالْبُهْتَانِ
مَنْ جِبْرِئِيلَ وَنُورُهُ يَغْشَانِي
فَحَنَى عَلَيَّ بِثَوْبِهِ خَبَّانِي
وَمُحَمَّدٌ فِي حِجْرِهِ رَبَّانِي؟
وَهُمَا عَلَى الْإِسْلَامِ مُصْطَحِبَانِ
فَالنَّضْلُ نَضْلِي وَالسَّنَانُ سِنَانِي
حَسْبِي بِهَذَا مَفْخَرًا وَكَفَانِي
وَحَبِيبِهِ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
وُخْرُوجِهِ مَعَهُ مِنَ الْأَوْطَانِ
بِرِدَائِهِ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ ثَانِ

مَرَضَ النَّبِيِّ وَمَاتَ بَيْنَ تَرَائِبِي
زَوْجِي رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَرْ غَيْرَهُ
وَأَتَاهُ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ بِصُورَتِي
أَنَا بِكْرُهُ الْعَذْرَاءُ عِنْدِي سِرُّهُ
وَتَكَلَّمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِحُجَّتِي
وَاللَّهُ خَفَّرَنِي وَعَظَّمَ حُرْمَتِي
وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ قَدْ لَعَنَ الَّذِي
وَاللَّهُ وَبَّخَ مَنْ أَرَادَ تَنْقُصِي
إِنِّي لَمُحْصَنَةٌ الْإِزَارِ بَرِيئَةٌ
وَاللَّهُ أَحْصَنَنِي بِخَاتِمِ رُسُلِهِ
وَسَمِعْتُ وَحْيَ اللَّهِ عِنْدَ مُحَمَّدٍ
أَوْحَى إِلَيْهِ وَكُنْتُ تَحْتَ ثِيَابِهِ
مَنْ ذَا يُفَاخِرُنِي وَيُنْكِرُ صُحْبَتِي
وَأَخَذْتُ عَنْ أَبَوَيَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
وَأَبِي أَقَامَ الدِّينَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَالْفَخْرُ فَخْرِي وَالْخِلَافَةُ فِي أَبِي
وَأَنَا ابْنَةُ الصَّدِّيقِ صَاحِبِ أَحْمَدٍ
نَصَرَ النَّبِيَّ بِمَالِهِ وَفِعَالِهِ
ثَانِيهِ فِي الْغَارِ الَّذِي سَدَّ الْكُؤَى

وَجَفَا الْغِنَى حَتَّى تَحَلَّلَ بِالْعَبَا
وَتَخَلَّلَتْ مَعَهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ
وهو الذي لَمْ يَخْشَ لَوْمَةَ لَائِمٍ
قَتَلَ الْأَلَى مَنَعُوا الزَّكَاةَ بِكُفْرِهِمْ
سَبَقَ الصَّحَابَةَ وَالْقَرَابَةَ لِلْهُدَى
وَاللَّهُ مَا اسْتَبَقُوا لِنَيْلِ فَضِيلَةٍ
إِلَّا وَطَارَ أَبِي إِلَى عَلِيَّائِهَا
وَيْلٌ لِعَبْدِ خَانَ آلِ مُحَمَّدٍ
طُوبَى لِمَنْ وَالَى جَمَاعَةَ صَحْبِهِ
بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ أُلْفَةً
هُمْ كَالْأَصَابِعِ فِي الْيَدَيْنِ تَوَاضَعًا
حَصَرَتْ صُدُورُ الْكَافِرِينَ بِوَالِدِي
حُبِّ الْبَتُولِ وَبَعْلِهَا لَمْ يَخْتَلِفْ
أَكْرَمَ بِأَرْبَعَةِ أُمَّةٍ شَرَعْنَا
نُسَجَّتْ مَوَدَّتُهُمْ سَدَى فِي لُحْمَةٍ
اللَّهُ أَلْفَ بَيْنٍ وَدَّ قُلُوبَهُمْ
رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ صَفَتْ أَخْلَاقَهُمْ
فَدَخُولُهُمْ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ كُفْلَةٌ
جَمَعَ الْإِلَهَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَبِي

زُهْدًا وَأَذْعَنَ أَيَّمَا إِذْعَانٍ
وَأَتَتْهُ بُشْرَى اللَّهِ بِالرَّضْوَانِ
فِي قَتْلِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
وَأَذَلَّ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ
هُوَ شَيْخُهُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
مِثْلَ اسْتَبَاقِ الْخَيْلِ يَوْمَ رِهَانٍ
فَمَكَائِهِ مِنْهَا أَجَلٌ مَكَانٍ
بِعَدَاوَةِ الْأَزْوَاجِ وَالْأَخْتَانِ
وَيَكُونُ مِنْ أَحْبَابِهِ الْحَسَنَانِ
لَا تَسْتَحِيلُ بِنَزْعَةِ الشَّيْطَانِ
هَلْ يَسْتَوِي كَفٌّ بِغَيْرِ بَنَانٍ؟
وَقُلُوبُهُمْ مُلِئَتْ مِنَ الْأَضْغَانِ
مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ فِيهِ اثْنَانِ
فَهُمْ لِبَيْتِ الدِّينِ كَالْأَرْكَانِ
فَبِنَاؤُهَا مِنْ أَثَبَتِ الْبُنْيَانِ
لِيَغِيظَ كُلَّ مُنَافِقٍ طَعَّانٍ
وَحَلَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الشَّنَّانِ
وَسَبَابُهُمْ سَبَبٌ إِلَى الْحِرْمَانِ
وَاسْتَبَدَّلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانِ

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
مَنْ حَبَّنِي فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ سَبَّنِي
وَإِذَا مُحِبِّي قَدْ أَلْظَّ بِمُبْغِضِي
إِنِّي لَطَيِّبَةٌ خُلِقْتُ لَطِيبٍ
إِنِّي لَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ أَبَى
اللَّهُ حَبَّنِي لِقَلْبِ نَبِيِّهِ
وَاللَّهُ يُكْرِمُ مَنْ أَرَادَ كَرَامَتِي
وَاللَّهُ أَسْأَلُهُ زِيَادَةَ فَضْلِهِ
يَا مَنْ يَلُودُ بِأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ
صِلْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَحِدْ
إِنِّي لَصَادِقَةُ الْمَقَالِ كَرِيمَةٍ
خُذْهَا إِلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ رَوْضَةٌ
صَلَّى إِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ

مَنْ ذَا يُطِيقُ لَهُ عَلَى خُذْلَانٍ
إِنْ كَانَ صَانَ مَحَبَّتِي وَرَعَانِي
فَكِلَاهُمَا فِي الْبُغْضِ مُسْتَوِيَانِ
وَنِسَاءُ أَحْمَدَ أَطِيبُ النَّسْوَانِ
حُبِّي فَسَوْفَ يَبُوءُ بِالْخُسْرَانِ
وَالِي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هِدَانِي
وَيُهِينُ رَبِّي مَنْ أَرَادَ هَوَانِي
وَحَمْدَتُهُ شُكْرًا لِمَا أَوْلَانِي
يَرْجُو بِذَلِكَ رَحْمَةَ الرَّحْمَانِ
عَنَّا فَتُسَلِّبْ حُلَّةَ الْإِيمَانِ
إِنِّي وَالَّذِي ذَلَّتْ لَهُ الثَّقَلَانِ
مَحْفُوفَةٌ بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ
فَبِهِمْ تُشَمُّ أَزَاهِرُ الْبُسْتَانِ

تمت القصيدة المباركة

بِعَوْنِ اللَّهِ وَحَسَنِ تَوْفِيقِهِ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ

بتاريخ ثاني عشرين من شهر جمادي الأولى سنة ست وسبعين وسبعمائة.

حسبنا الله ونعم الوكيل^(١).

(١) انظر حديث الإفك (٩٧-٩٩).

القصيدة الخامسة: تخميس القصيدة الوضاحية

للشاعر / عبد الحميد قُدس

(١٢٨٠ - ١٣٣٥ هـ - ١٨٦٣ - ١٩١٧ م)

عبد الحميد بن محمد علي قدس بن عبد القادر الخطيب الشافعي:
فاضل.

كان مدرساً بالحرم المكي، له كتب، منها «إرشاد المهتدي» شرح به رسالة لوالده اسمها كفاية المبتدي في التوحيد، و«الأنوار السنية» في شرح الدرر البهية لأبي بكر بن محمد شطا في فقه الشافعية، و«لطائف الإشارات» في شرح نظم الورقات لإمام الحرمين في الأصول، و«دفع الشدة في تشطير البردة» و«الذخائر القدسية في زيارة خير البرية» و«طالع السعد الرفيع» شرح لبعض المدائح النبوية^(١).

قال عنه الشيخ المؤرخ المكي عبدالله مرداد أبو الخير: الجاوي أصلاً المكي مولداً الشافعي الأديب الشاعر أخذ العلم عن أهله وذويه ولازم فيه، ثم ذكر أخذه عن علماء مكة، ورحلته إلى الجامع الأزهر وأخذه عن علمائه وتصدى بعد ذلك للتدريس في المسجد الحرام وأثنى عليه كثير من أهل الفضل، ونشر ونظم وألف التأليف العديدة الحسنة المفيدة وذكر

(١) الأعلام (٣/٢٨٨).

طرفاً منها بالإضافة إلى تخميسه لقصيدة ابن بهيج^(١).

وقد قام الشاعر بتخميس القصيدة الواضحية لابن بهيج الأندلسي السابقة وأسمائها: «بلوغ السعد والأمنية في مدح سيدتنا أم المؤمنين المبرأة الصديقية». ويقصد بالتخميس أن يعتمد الشاعر إلى قصيدة لشاعر قبله فيخمسها بأن يأخذ كل بيت من أبياتها فينظم ثلاثة أشطار قوافيها توافق عروض البيت الأصلي، ثم يأتي بالبيت الأصلي، وتتبين براعة الشاعر اللاحق في حسن إدماجه للمعاني، حتى كأن العاملين لقائل واحد^(٢).

قصيدة / بلوغ السعد والأمنية في مدح سيدتنا أم المؤمنين المبرأة الصديقية وهي تضميس للقصيدة الرضائية:

جاء في مقدمتها:

هذا التخميس النفيس على القصيدة السنية، المقولة على لسان المبرأة الصديقية، سيدتنا أم المؤمنين عائشة المحظية، زوجة وحبيبة خير البرية، رضي الله عنها وعلى آله وأصحابه وأزواجه بكره وعشية، وهي متضمنة لمدحتها البهية، تقبل الله تعالى ذلك إنه مبلغ الأمنية، آمين.

وهذه القصيدة:

قِفْ واستمع قولاً عظيم الشأن في مدح زوج المصطفى العدنان
إذ قال عنها مثبتُ البرهان (ما شان أم المؤمنين وشاني)
(هُدَيَ المحبُّ لها وُضِلَ الشاني)

(١) القصيدة الواضحية من لقاء العشر الأواخر.

(٢) معجم علوم اللغة العربية.

فاقت على كل النساء بنبلها ولدى العلوم بدت معالم طولها
 وإذا أردت بيان عزّة نيلها (إني أقول مبيّنًا عن فضلها)
 (ومترجمًا عن قولها بلساني)
 يا مدّعي حُبّ المشفع أحمد خذ حُبّ حَبَّتِه شفيعَكَ في غد
 فإذا أبيت أقول قول مسدّد (يا مبغضي لا تأت قبر محمد)
 (فالبيت بيتي والمكان مكاني)
 أتظنّ تحظى مع قلاك بمقصد حاشا فأنت إذا بشرٌ مُغتدٍ
 أو ما ترى ما حزته بتأيّد (إني خُصصْتُ على نساء محمد)
 (بصفاتٍ برّ تحتهن معاني)
 سَبَقْتُ خديجةً واعترفتُ بفضلها وخصائصي في الذكر منبعٌ جزلها
 ونساءُ أحمدَ فقتُهن بجلّها (وسبقتُهن إلى الفضائل كلّها)
 (فالسبق سبقي والعِنان عناني)
 من ذا الذي قد حاز مثلَ مناقبي إذ كنتُ حَبَّةً من أشاد مراتبي
 فالسعدُ وافاني ونلتُ مآربي (مرض النبيّ ومات بين ترائبي)
 (واليومُ يومي والزمان زمانني)
 من سار مثلي في الخليقة سيره والسعد أنطقَ باعتلائني طيره
 ما زلتُ أشكر للمهيمن خيرَه (زوجي رسولُ الله لم أرَ غيره)
 (اللهُ زوّجني به وحبّاني)
 قد زانني ربي بحسن سريرتي ولدى ذوي الإيمان حسنَ سيرتي

وأعزني الهادي ففقتُ عشيرتي (وأناه جبريلُ الأمينُ بصورتي)
 (فأحبَّني المختارُ حين رآني)
 فأنا الكريمة من غشاني برُّه قد زادني شرفاً وعزاً فخره
 من ذا يفاخرني وبיתי قبره (أنا بكره العذراءِ عندي سرُّه)
 (وضجيعه في منزلي قمران)
 فلي هنا أعلى المهيمُن رُتبتي إذ بالحبيب بلغتُ غايةً بُغيتي
 وبسورة النور البهيَّة قصَّتي (وتكلَّم الله العظيمُ بحجتي)
 (وبراءتي في محكم القرآن)
 وكذاك أُوعد من أراد مَذَلَّتِي بالخزي والبلوى وأحسنَ نشأتي
 وأعزني رغماً لحسن محجَّتي (والله عظمي وعظم حرمتي)
 (وعلى لسانِ نبيِّه برَّاني)
 تبا لمن لخلاف ذلك يتدي حسبي إلهي والمهيمُن منقذي
 فيه نصرتُ على المنافق والبدي (والله في القرآن قد لعنَ الذي)
 (بعدَ البراءة بالقبيحِ رمانِي)
 سبحان ربِّي إذ قضى بتخلُّصي وأذلَّ أعدائي ودَمَّر مُرْهَصي
 وأزال همِّي فاستحال تنغُّصي (والله وبَّخ مَنْ أراد تنقُّصي)
 (إفكاً وسبَّح نفسه في شاني)
 فمعيشتي من بعد ذاك هنيئةٌ وحياةُ إخوان النفاق رديئةٌ
 ولوامعُ البشرى عليّ مضيئةٌ (إني لمُحصنةُ الإزار بريئةٌ)

(ودليلُ حُسنِ براءتي إحصائي)
هو كيف لا وعليّ جادٌ بنبله ربّي وأكرمني بأجزل طوّله
ولحسن ظنيّ في الكريم وفضله (اللّه خصّصني بخاتم رسله)
(وأذلّ أهل الكفر والطغيان)
كيف التجاهلُ عن مقام أُوحد قد فقتُ أمثالي بغير ترُدّد
حَفَّتْ عنايته ففزت بسوّد (وسمعتُ وحيّ اللّه عند محمد)
(من جبرئيل ونوره يغشاني)
مَنْ ذا له الإذلالُ عند جنابه مثلي ومَنْ قد حُدَّتْ بخطابه
ومن استقرتُ والأمينُ ببابه (أُوحى إليه وكنت تحت ثيابه)
(فحنا عليّ بثوبه خبّاني)
فاللّه نورٌ بالعلوم بصيرتي وقُصِدْتُ بالفتوى ففقتُ بفتوتي
رَمَنَ الألى فازوا بأعظم رتبة (مَنْ ذا يُفاخرنِي ويُنكرنِ صحتي)
(ومحمدٌ في حِجره ربّاني)
فأنا بعائشة سُميتُ لمَقْصِدٍ وأنا الحظيّة قد حُظيتُ بسيدٍ
وأنا النسبَةُ قد سَموتُ بِمَحْتَدٍ (وأنا ابنةُ الصديقِ صاحبِ أحمد)
(وحبيبهِ في السرِّ والإعلان)
أُبوايَ قد سَبَقا لدينٍ ممجّدٍ وإلى المدينة هاجرا بتوّدٍ
فنشئتُ في الإسلام نشأة مُسعدٍ (وأخذتُ عن أبويّ دينَ محمدٍ)
(وهما على الإسلام مصطحبان)

فالمجدُّ مجدي والسعادةُ منصبي والعزُّ عزِّي والنجابةُ مركبي
والسعدُ سعدي والشهامةُ مشربي (والفخرُ فخري والخلافةُ في أبي)

(حسبي بهذا مَفْخَرًا وكفاني)

وبأمرِ طهَ قَدَّموه بِسُجَّدٍ فَرَضُوا خِلافَتَه برأيِ مرشِدٍ
فمشى على سَنَنِ المَفْضَلِ أحمدٍ (وأبي أقامَ الدينَ بعدَ محمدٍ)

(فالنَّصْلُ نصلي والسَّنانُ سِناني)

مَنْ مثله أَرْضَى النَبِيَّ بأنسه وَقَضَى الأَنَامُ على محاسنِ حَدْسِه
وَأَعَدَّ كُلَّ الصَّالِحَاتِ لرمسه (نَصَرَ النَبِيَّ بِماله وبِنفسه)

(وخرُوجُه معهُ من الأوطانِ)

يومَ النَبِيِّ إلى المدينةِ قد نوى ما سارَ إِلَّا والِدِي مَعَهُ سوا
وَمَعِيَّةُ المولى بنصرٍ فاستوى (ثانيه في الغار الذي سدَّ الكُوى)

(برِدايهِ أَكْرَمَ به مِنْ ثانِ)

مُذْ حَلَّ مع طه تكاملَ مَغْنَمًا وبقولِ «لا تحزن» تشجَّعَ واحتما
فَعَلَتْهُ بعدُ سَكِينَةٌ مِمَّنْ سما (وتجلَّلتُ معه ملائكةُ السما)

(وَأَتَتْهُ بشرى الله بالرضوانِ)

ما زال يَقْفُو فعلَ طه المجتبي ويسيرُ مهما سارَ مَعَهُ تحبُّبًا
فهو الذي في الله حَبَّ تقربًا (وجفا الغنى حتى تَجَلَّبَبَ بالعبا)

(زهْدًا وأظعنَ أيَّما إظعانَ)

أَمْضَى لواءَ للنبيِّ بِنُبْلِهِ لتزولَ آثارُ الغُواةِ بطُولِهِ

وتدوم أعلام الهداة بفضله (قتل الذي منع الزكاة بجهله)
(وأذل أهل البغي والعدوان)
فاق الصحابة كلهم بمكارم إذ كان بحر معارف ومراحم
وأبا هدى وندى وصدق عزائم (وهو الذي لم يخش لومة لائم)
(في قتل أهل الكفر والطغيان)
أفتى الردى بشجاعة بذل النداء أجلي الصدا بشهامه قمع العدا
حاز المفاخر كم لذلك أرشدا (سبق الصحابة والقراة للهدى)
(هو شيخهم في العدل والإحسان)
حاوى فضائل في الأنام جزيلة وخصال بر خامرته جليلة
من مثله يسمو بكل جميلة (والله ما سبقوا لمثل فضيلة)
(مثل استباق الخيل يوم رهان)
إلا أبي فيها كشمس سمائها أو مثل جوهرة زهت بضياؤها
وكذاك ما راموا محل سنائها (إلا وصار أبي إلى عليائها)
(فمكائنه منهم أجل مكان)
فالله أكرمه بأفضل رفته إذ فاز بالهادي ففاق بسعده
فسما الذرى من ذا يقول برده (وإذا أراد الله نصرة عبده)
(من ذا يطيق له على خذلان)
والله خص أبي بخير نائب وأباد أعداءه بسهم صائب
خلف النبي فكان أفضل نائب (جمع الإله المؤمنين على أبي)

(فاستبدلوا من خوفهم بأمان)
 ذَا مَحْتَدِي مَنْ رَامَهُ فَلْيَقْتَنِي لِيرَى الْمَقَامَ فَبِالْمَحَبَةِ يَعْتَنِي
 فَإِذَا أَقُولُ لِمَنْ صَفَى وَأَحْبَنِي (مَنْ حَبَّنِي فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ سَبَّنِي)
 (إِنْ كَانَ صَانَ مُحَبَّتِي وَرَعَانِي)
 جَانِبَ مَوَدَّةٍ مِنْ أَلَمٍّ بِمَبْغُضٍ فَالزَيْنُ تَسْرِي فِيهِ وَصَمَةٌ مُمْرَضٍ
 تَعَسَتْ مُحَبَّةٌ مِنْ يُلْمُ بِمَعْرُضٍ (إِذَا مُحِبِّي قَدْ أَلَمَّ بِمَبْغُضِي)
 (فَكَلَاهُمَا فِي بَغْضَانَا سَيَّانَ)
 مِنْ وَدَّنِي يَحْظِي بَعِزٍ مَطْرِبٍ وَاللَّهُ يُسَعِفُهُ بِخَيْرِ صَيِّبٍ
 أَوْلَيْسَ يَعْلَمُ حِظُّوتِي بِمُطَيِّبٍ (إِنِّي لَطَيِّبَةٌ خُلِقْتُ لَطِيْبٍ)
 (وَنِسَاءُ أَحْمَدَ أَطِيبُ النِّسْوَانِ)
 فَأَنَا الَّتِي مِمَّا يُشِينُ سَلِيمَةً مُحْفُوظَةٌ قَدْ زَيْنْتَنِي شِيمَةً
 وَخَصَالُ بَرٍّ فِي الْأَنَامِ وَسِيمَةً (إِنِّي لَصَادِقَةُ الْمَقَالِ كَرِيمَةٍ)
 (إِنِّي وَالَّذِي ذَلَّتْ لَهُ الثَّقَلَانِ)
 وَقَدْ اصْطَفَانِي خَالِقِي لَصْفِيهِ فُحِمْتُ مِنْ سَوْءِ الزَّمَانِ وَغِيهِ
 وَكُسِيتُ مِنْ فَخْرِ أَلْبَهَا بِسَنِيهِ (وَاللَّهُ حَبَّنِي لِقَلْبِ نَبِيِّهِ)
 (وَالِى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هِدَانِي)
 سَعِدْتُ لِمَنْ قَدْ وَدَّنِي وَتَادَّبَا وَبَحَبَّهُ الْإِيمَانُ فِيهِ قَدْ رَبَا
 قَدْ بَشَّرَ الْمَوْلَى الْمُحِبَّ تَقَرُّبَا (إِنِّي لَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ أَبَى)
 (حُبِّي فَسَوْفَ يَبُوءُ بِالْخُسْرَانِ)

فأحِبَّنِي تحظى بكل كرامةٍ واجزَمْ بحسن براءتي وسلامتي
وبطِيبِ أصلي في الوري وشهامتي (واللَّهُ يكرم من يُريد كرامتي)
(ويُهين ربِّي من أراد هواني)
واللَّهُ أنحفني بمِنَّة نَيْلِهِ وحباً أحبَّائي مواهبَ طَوْلِهِ
وأذلَّ أعدائي بسطوة عدلِهِ (واللَّهُ أسأله زيادة فضلِهِ)
(وحمْدُهُ شكراً لما أولاني)
فاقبلْ دعائي يا كريم بمقصدٍ وأخزِ العدا واجزِ المحبَّ بسؤددٍ
هذا وذا نصحي لكل مؤيِّدٍ (يا من يلوذ بأهل بيت محمدٍ)
(يرجو بذلك رحمة الرحمن)
أَمْزُجْ محبَّتَهُم بحبِّ هُدَى السُّبُلِ تنجو ففز بسنا محبَّتَهُم وُضُلِ
وإذا أردتَ العزَّ من سَنَدِ الرسل (صِلْ أمهات المؤمنين ولا تحُلْ)
(عَنِّي فَتُسَلَبْ حَلَّةُ الإِيْمَانِ)
طوبى لمن قد حَبَّ خَيْرَةَ أَمجدٍ مِنْ صحبه والآلِ صفوة منجدٍ
وجميع أزواج المشفع أحمدٍ (ويلٌ لعبدٍ خانَ آلَ محمدٍ)
(بعداوة الأزواج والأختان)
فأبِي مع الفاروق عصمة ديننا وشهيدُهُم عثمانُ مُذهَبُ رَيْنَا
وعليُّ الكرَّار نورُ يقيننا (أكرم بأربعة أئمة شرعنا)
(فهْمُ لبيت الدين كالأركان)
حُبُّ الصحابة والقراة تحفة يا سعد من وافته منها صُدفة

عَظَفَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَهِيْمَنِ عَطْفَةً (بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ أُلْفَةً)
 (لَا تَسْتَحِيلُ بِنَزْغَةِ الشَّيْطَانِ)
 مَنْ شَامَ طَه نَالَ أَبْهَى مُنِيَةً فَالْصَّحْبُ قَدْ سَعِدُوا بِتِلْكَ الْخُطْوَةِ
 فَهُمْ الْكَرَامُ وَهُمْ قُصَارَى بَغِيَّتِي (نَسَجَتْ مَحَبَّتَهُمْ سَدَى فِي لُحْمَتِي)
 (بَنِيَانَهَا مِنْ أَثْبَتِ الْبَنِيَانِ)
 لِلَّهِ دَرُّهُمْ زَكَى إِنْفَاقُهُمْ فِي الْمُكْرَمَاتِ كَمَا نَمَا إِرْفَاقُهُمْ
 بَاعُوا النُّفُوسَ لِمَنْ لَهُ أَشْوَاقُهُمْ (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ صَفَتْ أَخْلَاقُهُمْ)
 (وَوَخَلَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ الشَّنَّانِ)
 أَلَّ الرِّسُولَ وَصَحْبُهُ بَلَّغُوا الْعِلَّا فَمُحِبُّهُمْ طَرًّا أَصَابَ وَفُضِّلَا
 وَمَحِبُّ بَعْضٍ مَخْطِئٌ سَنَنَ الْمَلَا (هُمْ كَالْأَصَابِعِ فِي الْيَدَيْنِ تَوَصَّلَا)
 (هَلْ تَسْتَوِي كَفٌّ بَغِيرَ بَنَانِ)
 طَوْبَى لَهُمْ فِي سَلَمِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ فَاللَّهُ رَاضٍ عَنْهُمْ لَوْثُوبِهِمْ
 لِلَّهِ مَنْ أَجَلَى جَمِيعِ كَرُوبِهِمْ (وَاللَّهُ أَلْفَ بَيْنٍ وَدَّ قُلُوبَهُمْ)
 (فِي بُغْضِ كُلِّ مَنَافِقٍ طَعَّانِ)
 نَالُوا الْعِلَّا إِذْ زَيَّنَتْهُمْ رَأْفَةً فَلَهُمْ بَجَنَاتٍ أُعِدَّتْ غُرْفَةً
 فَمَنْ الْأَلَى بِهِمْ تُفَرِّقُ أُلْفَةً (فَدَخَلُوهُمْ بَيْنَ الْأَحْبَةِ كَلْفَةً)
 (وَسِبَابُهُمْ سَبَبٌ إِلَى الْحَرَمَانِ)
 قَدْ أَكْرَمَ الْمَوْلَى الصَّحَابَ بِقَرْبِهِ لَصَفَا طَوِيَّتَهُمْ بِأَفْضَلِ حَزْبِهِ
 طَه الْمَرْجَى فِي الْمَعَادِ وَكَرْبِهِ (طَوْبَى لِمَنْ وَالَى جَمَاعَةَ صَحْبِهِ)

(ويكون من أحبابه الحسنان)
 هذي المعالي إنما هي فيضة استنهضتها للمكارم نهضة
 جمعت أوابد ما حوتها غيضة (خذها إليك فإنما هي روضة)
 (محفوفة بالروح والريحان)
 يا رب أنجز بالمشفع قصدنا واكبت أعادينا وجد بغنائنا
 عمن سواك فأنت أنفع مقتنى (هذا ويا رباه جد لي بالمنى)
 (واغفر لناظمها أبي عمران)
 وعبيدك القدسي زد في أجره واحرس بنيه من الزمان وشره
 واحم الجميع وكن له في دهره (واجعل مكيدة من طغا في نحره)
 (والطف بنا في السر والإعلان)
 وامن علينا بالقبول وبالرضا وبحسن يسر واحم من سوء القضا
 واسبل علينا الستر واغفر ما مضى (واعطف علينا بالنبي المرتضى)
 (واختم لنا بشهادة الإيمان)
 وامنن على كل بحسن ماله والأهل والأحباب مع أنجاله
 والمسلمين ومن سما بمقاله (صلّى الإله على النبي وآله)
 (فبهم تتم أزاهر البستان)
 ما ديمة فوق الخمائل قد همت وكذا السلام على الجميع ومن هدت
 أنوارهم للمكرمات وكملت (والتابعين وتابعيهم ما شدت)
 (في دوحة ورق على الأغصان)

تمَّ هذا التخسيس الأنيق النفيس بعون الملك العلام، في مدة زهيدة من الأيام، ظهر يوم الخميس الموافق ٢٧ محرم الحرام، عام ١٣١٩ هجرية، على يد ناظمه الراجي ألطاف مولاه الخفية عبد الحميد بن محمد علي قُدُس.

فتح الله تعالى عليه وأيده بروح القدس، ونظر إليه وإلى ذريته ومحبيه بعين الرحمة، وأزال عنهم وعن المسلمين كل غمة. ونسأله تعالى الإخلاص والقبول وبلوغ الأمانة^(١).



(١) لقاء العشر الأواخر في المسجد الحرام (٣٣).

القصيدة السادسة: قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

للشاعر أحمد محرم

(آمنت بالله جل الله من ملك
سبحانه وتعالى لا شريك له
الحول والطول والسلطان آيته
له القضاء يهدّ العرش منزله
لا يعد همك شيء من أوامره
وقل لنفسك إن رامت سعادتها
كل الملوك هباء في معاليه
من ذا يشاركه أم من يضاهيه
والخير والفضل والحسنى أياديه
ويصرع الملك الجبار جاريه
ولا تهم بشيء من نواهيه
إن السعادة طراً في مرضيه)^(١)

كم من الشعراء المعاصرين من تحدث عن سعادة النفس بدل وصفه للقلق والضجر الذي يعتوره، أو حالة التمرد التي تغشاه والتي طفحت في شعرنا الحديث، وكم من أولئك الذين تحدثوا عن سعادة النفس ربطها بمرضاة الله تعالى بدل ربطها بليلة حمراء أو حالات العشق أو رشقات من الخمر، وكم من أولئك الذين تحدثوا عن سعادة النفس بمرضاة الله أتوا بها بمثل هذا المنطق الصادق والبيان الجميل مشبعاً بالحالة النفسية لشاعر الإلياذة الإسلامية أحمد محرم.

ترجمته:

لعلي لا أجد ترجمة أفضل ولا أصدق من ترجمة الشاعر لنفسه، لكن ربما

(١) ديوان أحمد محرم (٣/ ٣١١).

لا تكون تامة خاصة بعد وفاته كما حدث لشاعرنا أحمد محرم، إذ إنني سوف أتمم ترجمته من مراجع أخرى، أما ترجمته لنفسه فالداعي لها هو أن الأديب والباحث أحمد عبيد لما ألف كتابه النادر مشاهير شعراء العصر، حرص على أن تكون تراجم الشعراء من إنشائهم لأنه كان معاصراً لأكثرهم، وقد كان تأليفه له في عام ١٩٢٢م، وكان من أبرز الشعراء الذين ترجم لهم هو شاعرنا أحمد محرم، وقد توسع في اختياراته من شعره لنفسه بدليل أن أكثر من اختار من شعره في كتابه هو أحمد شوقي، ويأتي بعده مباشرة أحمد محرم، وقد راسل أحمد عبيد الشاعر أحمد محرم ليكتب له ترجمة عن نفسه.

ثم سارع في ترجمته لنفسه قائلاً:

ولد في القاهرة يوم ٥ محرم سنة ١٢٩٤ هجرية من أبوين، أما أحدهما فتركي صميم وأما الثاني فاختلط في أواخره بقليل من الدم المصري وذلك نسبه من جهة الأم. ولما بلغ سن التعليم كان والده قد نزح إلى بعض الأقاليم المصرية، فتخير له مكتباً هناك تلقى فيه مبادئ القراءة والكتابة وشيئاً من القرآن الشريف، فلما قوي ذهنه وعظم استعداده للاستزادة من العلوم والمعارف انتقى له والده أستاذاً من علماء الأزهر الشريف تلقى عليه النحو والصرف والبيان وآداب اللغة وكثيراً من علوم العربية، إلى طائفة صالحة من قواعد الدين وأحكامه، ولم يكن قد تجاوز الاثنى عشر عاماً في ختام ذلك الدور من أدوار نشأته العلمية، فبعث به والده إلى إحدى مدارس الحكومة بالقاهرة، وكانت نفسه قد انطبعت على حب العربية وشدة الشغف بعلومها، فلم ير في المدرسة إلا تعاليم تقصر عن مبتغاه

وتذهب به إلى غير ما يريد، فراجع والده في الأمر فظن أنه يتجنى على المدرسة وأنه ربما سكن إلى غيرها من المدارس الأخرى التي قد تكون أحسن نظاماً وأكفأ أساتذة، فنقله إلى ثانية أكبر من الأولى وأقرب أن تكون عند ظنه، ولكن أحمد محرم الذي لم يكن يريد إلا منزلة المتنبى ومقام البحتري ما كانت نفسه لتسكن إلى أكبر المدارس المصرية التي قضى على اللغة العربية فيها على يد الحكم الأجنبي، فاستأذن والده في الانقطاع عن المدرسة بقصيدة أبان فيها عن ذات نفسه وجهر بمكتوم أمره، فأذن له في العودة إليه ووضع مكتبته الكبيرة بين يديه ليختار منها ما تنبعث نفسه إليه من أمهات الكتب في الأدب والتاريخ والفلسفة الشرقية، ويعكف على الدرس والمطالعة، فاستظهر ما وقع اختياره عليه من هذه الكتب وأعانه والده على جلب ما يريد من كبريات الكتب التي يرى المكتبة خالية منها ويشعر بالحاجة إليها، كما أعانه على الاشتراك في أشهر المجلات وأكبر الصحف، وكان يحرضه على الإجابة في نظم الشعر بضروب من الجوائز السنوية وفنون من المناظرات الكبار التي كان يوعز إلى بعض شيوخ الأدب بإثارتها على صاحب الترجمة، وما بلغ الخمس عشرة من عمره حتى أقبل على الصحف السياسية والمجلات العلمية يكتب فيها على المبادئ المنتزعة من حقائق التاريخ والمذاهب القائمة في صميم الآداب.

نال صاحب الترجمة شهادة الامتياز بين شعراء النيل من لجنة التحكيم التي تولت أمر النظر في القصائد المقترحة على كبار الشعراء في عيد جلوس الخديوي سنة ١٩١٠ ميلادية، ونال نحو خمسة عشر جائزة في مسابقات

شعرية ونثرية أخرى اقترحتها الصحف والمجلات في فنون شتى من الأدب، ومواضيع مختلفة من سياسة الممالك وتربية الأمم، وما تصدى كاتب ولا أديب لتعيين طبقات الشعراء إلا عرف له مكانه ووضعه في الصف الأول.

فهو اليوم شاعر الجامعة الإسلامية التي يعمل لها رجال الحرية والسياسة من أبطال العثمانيين وذوي الهمة والعزم من أمراء المسلمين وزعمائهم وخيرة علمائهم وكتابهم في مختلف الأقطار ومتفرق الممالك، ومع ما يظن من شدة تعصبه للدين الإسلامي والشعوب الإسلامية بحكم تلك الحماسة الدينية الملتهبة التي يجدها القراء في قصائده، فإنه لم يغفل أمر الدعوة إلى تأليف الوحدة الشرقية، والمناداة بوجوب التفاف الشرقيين عامة تحت لواء الإخاء الوطني والأمة السياسية الجامعة^(١).

هذا ما قاله الشاعر عن نفسه أما ما قاله الأدباء والنقاد والباحثون في الأدب المعاصر فإنه لا يختلف عنه من أمثال خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام، والدكتور عبد العزيز شرف في مختارات الزهور، وابن عباس مصطفى رسام في كتابه تراجم الشعراء والأدباء، وزكي محمد مجاهد في الأعلام الشرقية، وأحمد قبش في كتابه تاريخ الشعر العربي الحديث، بل إنهم أكدوا ما قاله وأضافوا إليه ما يعاضد ترجمته ويجري في نسق واحد مع ملامح شخصيته ومجريات حياته، فيقول أحمد قبش في ترجمته:

واتصل بجيل مصطفى كامل وألهم حماسته ووطنيته، عاش عفيف اليد واللسان ولم تفسده مغانم السياسة، ولم يملك إلا بيته المتواضع في دمنهور، عمل في آخر حياته مشرفاً على مكتبة بلدية دمنهور، نادى

(١) مشاهير شعراء العصر ص (١١٤).

بالجامعة الإسلامية والوحدة الشرقية، فكانت ثقافته دينية بيتية، وغلب على شعره الاتجاه الوطني مع النزعة الإسلامية، صدر ديوانه الأول عام ١٩٠٨م، وأبرز أعماله الإلياذة الإسلامية عن الرسول والإسلام وعن الهجرة، على غرار إلياذة هوميروس، وتقع في عدة آلاف من أبيات الشعر العربي، عرض فيها التاريخ الإسلامي وغزواته وحروبه.

يعد أحمد محرم امتداداً طبيعياً لمدرسة التقليد، ويمتاز عن شعراء التقليد جميعاً بترفعه عن السير في ركب الحاكمين والوزراء، وقد أجمع النقاد على أن بين شعره وشعر شوقي تشابهاً وموازنة، وإنما يشتركان في الموسيقى خاصة.

عرف بقوة الديباجة وإشراقها، وجزالة اللفظ، وغلبت عليه حرارة العاطفة وصدق الإيمان، صور موقفه من جيله فقال:

ظمئت وفي نفسي الأدب المصفى وضعت وفي يدي الكنز الثمين
ظلمت أبي ونفسي إن مثلي لغال في النوابع لا يهون
كريم تدفع الأخلاق عنه ويمنع ركنه الأدب الحصين

لم تعرف العربية الشعر القصصي بمعناه الغربي، وإنما عرفت ضروباً من نظم التاريخ تشبه أن تكون متوناً للحفظ والتسميع، حتى نهض أحمد محرم يحقق الأمل المنشود، فاختار غزوات الرسول ﷺ، موضوعاً لإلياذته أو ملحمة الإسلام، وتحفظ دار الكتب المصرية بنسخة مصورة منها، ولقد طبعت باسم «ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية» عام ١٩٦٣م، فنراه يقسم ملحمة فصولاً يقدم للفصل بقطعة نثرية يوضح فيها موضوع القصيدة التالية، سواء اتصلت بغزوة، أو بحادثة من حوادث

السيرة الزكية، وهو يفتتحها بقوله:

املاً الأرض يا محمد نوراً^(١) واغمر الناس حكمة والدهورا

ثم يتحدث شعراً عن هجرة الرسول ﷺ واستقبال أهل المدينة له، ويعرض للجاهلية ومآثمها ومظالمها، ثم يقص وقائع الرسول ﷺ وغزواته وعن هزيمة المشركين.

وبهذا فمحرم لا يكتب ملحمة كملحمة هوميروس في إلياذته وإنما ينظم سيرة الرسول ﷺ، وفرق كبير بين نظم السير والشعر القصصي، فالأول عمل آلي والثاني فني، فمحرم قرأ التاريخ ثم حوله شعراً ولذلك خرجت ملحمة جافة جفافاً شديداً^(٢).

قال عنه الأديب المغربي زكي محمد مجاهد: كان علماً بارزاً ساهم في بناء صرح الشعر الحديث بمصر والبلاد العربية ويعتبر شعره سجلاً زاخراً بشتى ألوان السياسة والاجتماع ومن أقوى الشعراء ديباجة وأنصعهم بياناً.

(توفي سنة ١٣٦٤هـ شهر يونية سنة ١٩٤٥م في دمنهور وأقيمت له حفلة تأبين في شهر يوليو بدار سينما بلدية دمنهور).

مؤلفاته:

١- ديوان محرم: جزءان في السياسات وأربعة أجزاء في الرثاء والغزل والوصف وأغراض الشعر الأخرى.

٢- الإلياذة الإسلامية أو ديوان مجد الإسلام.

(١) تاريخ الشعر العربي الحديث ص (٩٨).

(٢) راجع مجد الإسلام ص (٣) ط مكتبة دار العروبة.

٣- القصيدة الجامعة في حرب تركيا مع اليونان.

٤- أرجوزة محرم أو قول الراوي في حادثة المنشاوي^(١).

أقوال الأدباء عنه:

قال عنه الشاعر والأديب ولي الدين يكن:

«أحمد محرم في شعره نسيج وحده، وهو أقرب الشعراء المعاصرين ديباجة من شعراء العرب، وما زال يعاني ذلك في أول أمره معاناة حتى صار ملكة في طبعه، وليس في طباع الشعراء طبع أدل من طبعه، وطبع حافظ إبراهيم على جودة الألفاظ، وكما أن خليل مطران فاق النظراء بل فاق كثيراً من القدماء في معانيه، فكذلك أحمد محرم وحافظ فاقا النظراء بل فاقا كثيراً من القدماء في ألفاظهما وتراكيبهما، وأقرب وصف في هذا الباب أن يقال: إن خليلاً أبلغ شعراء زماننا وإن محرمًا وحافظاً أفصحهم».

وقال عنه نقولا رزق الله:

إذا أسهرتك القوافي فقم فنبه لها أحمدًا ثم نم
تجوب قصائده العامرات سهول البلاد وتطوى الأكم

وقال أحمد الكاسف:

لقد أصبح ذكر هذا الشاب الجليل متداولاً على ألسن الأدباء، محبوباً لديهم، فما زرت أديباً في العاصمة أو غيرها من المدن العظيمة إلا استشهد لي بأشعاره، فلقد غاص بحور الأدب فأحرز دررها، وقلد جيد

(١) الأعلام الشرقية (٢/ ٦٦٨).

نشأته بمحاسن جواهرها، فطبق ذكره الآفاق، وعده الجمهور عنوان ارتقاء
النشأة المصرية.

وقال عنه بعض الأدباء:

إن شعراء الطبقة الأولى بحسب تقسمي هم: محمود باشا سامي
البارودي، وحافظ إبراهيم، وأحمد محرم.

ونختم هذه الأقوال بما قاله المؤرخ عبد الرحمن الرافعي في كتابه «شعراء
الوطنية» عن أحمد محرم:

شاعر ملهم، من شعراء الوطنية والأخلاق، كان أدباء الجيل يضعونه في
صف شوقي وحافظ ومطران، وكان شيخ الشعراء إسماعيل صبري، يتغنى
بشعر هؤلاء الأربعة ويطيب له التحدث عنهم، وامتاز محرم إلى جانب
مكانته الشعرية بحرارة العاطفة، وتذوقه للفن والجمال، وقوة إيمانه،
وتأملاته العميقة الفلسفية، واستمساكه طول حياته بمبادئه الوطنية، فكان
شعره كله وقفاً على هذه المبادئ، لم ينحرف عنها يوماً في قصيدة أو في
أي بيت من الشعر، ظل مقيماً عليها وفيّاً لها في السراء والضراء، فكان
حقاً مثلاً أعلى في الشعر والوطنية، وكان مصطفى كامل يعجب به
وبشعره ويشيد به على صفحات (اللواء) ويسميه (نابغة البحيرة) وبقي
أحمد محرم على صلته به ووفائه له ولذكراه، كما ظل وفيّاً لمبادئ
الوطنية إلى أن توفاه الله في ١٣ من يونيو سنة ١٩٤٥م^(١).

(١) ديوان مجد الإسلام ص (٢٩).

قصة قصيدته:

اقترح العالم المحقق محب الدين الخطيب رحمته الله على شاعرنا أحمد محرم أن يكتب في أمجاد أمتنا إلياذة شعرية كما كتب اليونانيون إلياذة هوميروس، وقد قام بترجمتها إلى العربية نثراً ونظماً الأديب عبد الله البستاني.

وقد جاء في صدر خطاب العلامة محب الدين الخطيب: كنت هممت غير مرة أن أكتب إليكم اقتراح مشروع كنا نحاول إقناع شوقي بك رحمته الله به، ولكن خشيت أن يصرفكم ذلك عن معاني الجهاد الأخرى، وهذا المشروع هو إرسال نظركم الكريم بين حين وآخر إلى مفاخر التاريخ الإسلامي الخلقية والعمرانية والسياسية والإصلاحية والحربية، ونظم كل مفخرة منها في قطعة خالدة تنقش في أفئدة الشباب، ثم ترتيبها بحسب تاريخ الوقائع، وتأليف إلياذة إسلامية من مجموعها، أليس من العار أن يكون للفرس ديوان مفاخر الشاهنامة، وأن يكون لليونان ديوان مفاخر كالياذة، والإسلام الذي لم تفتح الإنسانية عينها على أعلى منه مرتبة وأعظم منه محامد^(١).

فاستجاب محرم لهذا المقترح عبر خمسة عشرة عاماً قدم فيها شاعريته وأشرع يراعه حتى أبدع ديوان مجد الإسلام.

فلما وقف عليه محب الدين الخطيب قال فيه: «إن أحمد محرم لبى دعوة الإسلام إلى تدوين أمجاده بما وهبه الله من بلاغة تذوقها بأساليب القرآن

(١) آفاق جديدة في الأدب ص (١٧٢).

وجلاها بمعجز البيان».

وقال عن الديوان الأستاذ أنور الجندي رحمته الله : ومن الحق أن يقال : إن العمل الذي قام به أحمد محرم جديراً بالتنويه والاهتمام، ولكن مع الأسف لم يعرف أهل جيله قدره فظل مطوياً حتى بعث بعد موته ببضع عشرة سنة، واكتشف مدى ما في هذا العمل من أصالة وقوة^(١).

ويبدو أن بعض الأوساط الأدبية قد سرت باستجابة محرم فبلغته أصداؤها فقال :

صوت تردد في الآفاق يهتف بي لا سرنى هاتف إن لم يجب أدبي
قال الوشاة، وفى للفرس شاعرهم وما وفى شاعر الإسلام والعرب
مهلاً فإن لقومي إن هم التمسوا مستودع الود من نفسي لذو حذب
لو لم يطعني بياني حين أنصرهم نصرتهم ببيان من دم سرب
قال الأديب محمد رجب البيومي معقباً على قصيدة محرم عن غزوة بدر :
بهذا النسق المطرد خاطر الدافق العاطفة إنساب محرم يتحدث عن الغزوة،
وقد سلسل الوقائع في ثوب جمالي، كما يرسم المصور لوحة بديعة،
والشاعر قادر مقتدر لا يعذره معنى أو يقف أمامه مرقى لا يرتقيه، حتى
ترامت أبياته إلى مائة واثنى عشر بيتاً من رائع الشعر وأعذبه^(٢).

وإلى قلائد هذا الديوان النفيس تنتمي قصيدة محرم في حديث الإفك،
وقد كانت هذه القصيدة أولى أمثلة الإجادة وشواهد الإبداع في ديوانه

(١) آفاق جديدة في الأدب ص (١٧٢).

(٢) صوت الإسلام الصارخ ص (١٣١).

التي ساقها الأديب محمد رجب البيومي في معرض رده على بعض النقاد الذين زعموا أن ديوان مجد الإسلام ليس أكثر من نظم تاريخي خالي الوفاض من الشاعرية، فقال البيومي:

وسيكون الشاهد الأول ما حاكه محرم عن قصة الأفك الشهيرة، إذ صور مشاهدتها المعبرة بأرقى ما يتطلع إلى تصويره شاعر مبدع يلتزم الواقع دون الأسطورة، ثم ساق طرفاً من القصيدة - وهي القصيدة القادمة - وقال:

فَمَآذَا يَرَى الْقَارِئُ فِي هَذَا التَّصْوِيرِ الْمَلَمَّ بِخَوَافِي النَّفُوسِ، فِي إِحْكَامِ بَارِعٍ
لَا تَنْقُصُهُ حَلَاوَةُ الْإِيْقَاعِ، وَلَا بَرَاةُ التَّلْوِينِ؟ هَلْ فَاتَ الشَّاعِرَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ
يُقَالَ فِي رَسْمِ الْخَوَالِجِ، وَتَصْوِيرِ الْهَمَسَاتِ الْخَافِيَةِ طَيِّ الشَّعَافِ، لَقَدْ
وَاصَلَ حَدِيثَهُ الرَّائِعَ عَمَّا تَلَا ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْمُصْطَرِعةِ، حِينَ اسْتَأْذَنْتَ
رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ تَذْهَبَ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا فَأَذِنَ، وَمَضَتْ عَلَى حَالٍ أَجَادَ
مُحَرَّمٌ وَصَفَهَا^(١).

قصيدة / قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

سيد الرسل وأم المؤمنين	بشر الأبطال بالنصر المبين
خرجت في الجيش ترجو ربها	عصمة الراجي وعون المستعين
ينصر الحق ويقضي أمره	إن رماه كل أفك مهين
اصبري إن جل أمر إنها	يا ابنة الصديق دنيا الصالحين
أرأيت الأرض لما رجفت	إذ هوى عقدك؟ بل لا تشعرين

(١) صوت الإسلام الصارخ ص(١٣١).

اقشعرت، وتمنّت لو هوى
 أنتِ في شأنِكِ إذ تبغينه
 سوف يُبدي الخطبُ عن روعته
 رفعوا الهودجَ والظنُّ بها
 وانجلى الليلُ عن الخطب الذي
 أين غابت؟ أيّ أرض نزلت
 يا رسول الله صبراً إنها
 يا أبا بكر رويداً، إننا
 رجعتُ والليلُ في بردته
 ذهبَ الجيشُ وأمست وحدها
 خطرْتُ في الجو من أنفاسها
 ماجَ كالبحر طغت أثباجه
 نامَ عنها الهمُّ لما رقدتُ
 وأتى صفوانُ ما يبدو له
 يرسلُ الطرفَ ويمشي نحوها
 عرفَ الخطبَ فما أضدقهُ

كلُّ عالٍ من رواسيها مكين
 وهي في همٍّ وغمٍّ وأنين
 بعد حين، فاصبري حتى يحين^(١)
 أنّها فيه وصاروا مُدلّجين^(٢)
 غادرَ الإصباحَ مسودَّ الجبين
 كيف غمَّ الأمرُ؟ هل من مستبين؟
 في ذمامِ الله ربِّ العالمين
 لنراها في حمى الروح الأمين
 دائمُ الإطراقِ كالشيخ الرزين
 غيرَ أصداءٍ من الوادي الحزين
 خطرَاتُ للأسى ما ينقضين
 وارتمت أهواله حولَ السفين^(٣)
 فهو في الأحشاء مكتوم دفين
 غيرَ شيءٍ ماثِلٍ للناظرين
 مشيّة المرتاب في رفق ولين
 حين يدعو دعوة المسترجعين

(١) يحين: يأتي.

(٢) الإدلاج: السير ليلاً.

(٣) أثباجه: أمواجه العالية.

دعوة رنّت فلو قيل: اسمعوا
أيقظت عائشة من نومها
جفلت منه فغطت وجهها
يصرف اللحظ قليلاً دونها
قرب الناقة منها ودعا
أخذ المقود يمناً ومضى
ينتحي يثرب بالنور الذي
نشروا الإفك فساداً وأذى
لا ينال الحق في سلطانه
يا لها من عصبية فاسقة
وجدت فيه زعيماً حاذقاً
هكذا يا ابن أبي هكذا
انفت السم وخضها فتنة
يا ابنة الصديق صبراً ليته
يا لها من علة لو تعلمين

لسمعنا اليوم ترداد الرنين
مثلما يوقظها صوت الأذنين^(١)
وهي في سترين من عقل ودين
خاشع القلب كدأب المتقين^(٢)
اركبي أماء ملئت البنين
يتبع الماضين من أهل اليمين^(٣)
يملاً الدنيا ويغي المطفئين
وعلى الله جزاء المفسدين
كذب الحمقى وإفك المرجفين^(٤)
هاجها للشر شيخ الفاسقين
وإماماً بارعاً للمفترين
لا يكن شأنك شأن المسلمين
تتلظى نارها للخائضين
ألم المرضي وهم المومنين
إنها أبرح مما تشتكين

(١) الأذنين: أي كما يوقظها صوت الأذان.

(٢) كليلاً: مريضاً، قصد أنه قد علاه الكرب.

(٣) المقود: أي خطام الناقة.

(٤) المرجفين: المشككين.

أَعْقَبَ الْبَشَرَ عِبَوسٌ وَبَدَا
(كَيْفَ تَيْكُم) لَيْسَ مِنْ عَادَتِهِ
غَيْرُوهُ فَلَوَى مِنْ عِطْفِهِ
وَهُوَ يُخْفِي لَكَ مَا لَا يَنْقُضِي
سَجَنَ السَّرِّ وَكَمْ مِنْ رُوعَةٍ
أَنْصَتِي فَالْإِلِيلُ مَضَغَ أَنْصَتِي
جَاشَتْ النَّفْسُ وَلَجَتْ رَعْدَةٌ
وَجَاءَ فِي الْقَصِيدَةِ أَيْضًا:

رَجَعْتُ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَمِّهَا
لُوعَةٌ مَشْبُوبَةٌ فِي سَقَمِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَأْذُنُ لِي؟
مُرْ وَدَعْ هَمِّي لِأُمِّي وَأَبِي
بَانَ حَسَنُ الصَّبْرِ وَالْعَزْمُ انْطَوَى
قَالَ: مَا شِئْتُ، هَلَمِّي فَافْعَلِي
ذَهَبْتُ، يُحْزِنُهَا أَنْ لَمْ تَكُنْ

(١) لجت: أي ترددت عليها الرعدة ولزمتها.

(٢) شآبيب: أي دفعات الدمع.

(٣) قمين: أي خليك وجدير.

(٤) يبين: يبعد.

(٥) طَوَّحَ: أي ذهب ورمى بها بعيداً.

لَمْ تَبْتَ مِنْهَا بَلِيلُ الرَّاقِدِينَ
فِي شَآبِيبٍ مِنَ الدَّمْعِ السَّخِينِ^(٢)
إِنْ بَيْتِي بِمَصَابِي لَقَمِينَ^(٣)
إِنَّمَا اسْتَأْذَنْتُ خَيْرَ الْأَمْرِينَ
وَأَرَى السُّقْمَ مَقِيمًا مَا يَبِينُ^(٤)
لَكَ يَا صَاحِبَتِي مَا تَوْثَرِينَ
طَوَّحَ الدَّهْرَ بِهَا فِي الذَّاهِبِينَ^(٥)

ثم قالت: وهي تبكي: عجباً
 ظلموني، ما رعوا لي حرمةً
 جَزَعَ الصَّدِيقُ مما نابَهُ
 قال: أَفَّ لَكَ من داهيةٍ
 أفلما زاننا دينُ الهدى
 كيف تيكُم؟ يا لها صاعقةً
 كيف تيكُم؟ كيف تيكُم كلما
 اصبري يا ربَّةَ العقد الذي
 وجاء في القصيدة أيضاً:

التقى والبرّ في تاجيهما
 مرحباً بالحق يحمي جندهُ
 مرحباً بالوحي، يجلو ما طَوْتُ
 مرحباً بالروح يلقي من عل
 فتنةً جَلَّتْ، فلما انكشف
 وتجلت غمرة الهادي فلا
 يا ابنة الصديق طيبي وانعمي
 ضرب القوم بماض مخذم
 سقطوا صرعى عليهم غبرةً
 هل رأى التاجين أعلى المالكين؟
 ما استباحَتْ ترهّات المبطلين
 ظلمات الشر من نور اليقين
 رحمة الله تغيث المؤمنين
 أزلفوا الشكر وراحوا راشدين
 ريبةً تغشى، ولا ظن يرين
 ذاك حكم الله خير الحاكمين
 من مواضيه فولوا مدبرين
 من قتام البغي تخزي الظالمين

أمسك الصديق من معروفه ينكر الغدر وينهي الغادرين
وطوى عن مسطح نعمته ليرى حق الكرام المنعمين
عاله دهرأ، فلما خانه راح يجزيه جزاء الخائنين
سنة العدل قضاها من قضى سنة الرحمة بين الراحمين
نزل الذكر بها قدسية فعفا الناقم وارتاح الضئین
اجعل الخير قريناً إن أبى كل غاؤ إنه نعم القرين
جل ربي وعلا كل امرئ بالذي يكسب من أمر رهين^(١)

* * *

(١) ديوان مجد الإسلام ص(٢٠٠).

القصيدة السابعة: من قصيدة نظام البردة

للشاعر/ علي أحمد باكثير

١٣٢٨ هـ - ١٣٨٩ هـ ١٩١٠ م - ١٩٦٩ م

حياته العلمية:

- * ولد عام ١٩١٠ م.
- * عندما قاربت سنه الثامنة أرسله أبوه إلى موطنه الأصلي حضرموت ليتلقى تعليمه فيها على أيدي مؤدبين عرب يلقنونه حب العربية ويسقونه عشق الإسلام.
- * وفي بلدة سيووت أقبل على دراسة اللغة العربية حتى برع فيها وامتزج حبها بدمه.
- * رحل طالباً للعلم إلى عدن، ثم إلى الصومال والحبشة، ثم إلى الحجاز حيث مكث فيها أكثر من عام قضاها متنقلاً بين مكة والمدينة والطائف.
- * شد الرحال إلى مصر عام ١٩٣٤ م عازماً على دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي في الأزهر الشريف، لكنه غير رأيه بعد وصوله فدخل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول دارساً في قسم اللغة الإنجليزية فيها، وتخرج فيها عام ١٩٣٩ م.
- * ثم درس في كلية المعلمين وحصل على دبلوم في التربية عام ١٩٤٠ م.
- حياته العملية:
- * عمل مدرساً للغة الإنجليزية في المدارس الثانوية المصرية، واستمر في

هذه المهنة حتى عام ١٩٥٥ م.

* بدأ ينشر إنتاجه الشعري في جريدة الفتح المصرية، وفي المطبعة السلفية طبع مسرحيته التي ألفها عندما كان في الطائف وذلك سنة ١٣٥٣ هـ.

* نشر إنتاجه في مجلات عربية كثيرة من أهمها مجلة التهذيب في حضرموت وكان شاعرا لفترة أحد محرريها، ومجلات وصحف الوادي والمعرفة والفتح والرسالة والثقافة والأسبوع وأبوللو والرسالة الجديدة.

* عضو لجنة الشعر ولجنة القصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

* عندما صدر قانون التفرغ الأدبي كان باكثر أول من حصل على منحه للتفرغ مدتها عامان كتب خلالها سيرة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمسرحية من تسعة عشر جزءاً أسماها «ملحمة عمر».

* عضو في وفد أدباء مصر إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٦ م.
* مثل الجمهورية العربية المتحدة في مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا الأول الذي عقد في طشقند عام ١٩٥٨ م.

* وبقي أحد موظفي وزارة الإرشاد القومي إلى أن توفاه الله في العاشر من تشرين الثاني سنة ١٩٦٩ م.

إنتاجه الأدبي:

* (هُمام في بلاد الأحقاف)، (مسرحية شعرية)، كتبها عام ١٩٣٣ م، صدرت طبعتها الأولى في القاهرة عام ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م.

* ملحمة عُمر، «مسرحية من تسعة عشر جزءاً».

* نظام البردة (ذكرى محمد ﷺ)، (قصيدة) بلغت أبياتها مائتين وخمسين بيتاً، صدرت طبعتها الأولى في القاهرة عام ١٩٣٤ م.

- * شيلوك الجديد (مسرحية)، كتبها عام ١٩٤٤م.
- * شعب الله المختار، (مسرحية) كتبها عام ١٩٤٦م.
- * إله إسرائيل، (مسرحية).
- * التوراة الضائعة، (مسرحية)، كتبها عام ١٩٦٩م.
- * اخناتون ونفرتيتي، (مسرحية)، كتبها عام ١٩٣٨م، وصدرت طبعتها الأولى عام ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.
- * روميو وجولييت، (ترجمة) ترجمها عام ١٩٣٧م، وطبعت آخر مرة في مكتبة مصر سنة ١٩٧٨م.
- * قصر الهودج، أخرجت آخر طبعاتها في مصر سنة ١٩٧٨م.
- * الشيماء شادية الإسلام، (مسرحية) ضمن فيها مجموعة من الأناشيد الإسلامية على لسان الشيماء ابنة حليلة السعدية وأخت الرسول ﷺ من الرضاع، وقد طبعت في مصر عام ١٩٧٩م.
- * فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية.
- * أزهار الربى في شعر الصبا، (ديوان شعر) صدرت طبعته الأولى في بيروت عام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م^(١).
- في سن مبكرة كتب باكثير مطولته نظام البردة أو ذكرى محمد ﷺ، والتي عارض بها بردة البوصيري، لكن باكثير أبدع في قصيدته حين تخلص من التكلف الذي كلف به معارضو البوصيري، يقول باكثير في مطلعها:
- يا نجمة الأمل المغشي بالآلم كوني دليلي في محلولك الظلم
- وقد قرأت كثيراً من القصائد المعارضة للبردة فلم أجدها تعرضت لحديث

(١) معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين (٢/ ٨٧٨).

الإفك إلا كحادث تاريخي في السيرة النبوية، لكن الذي لفت انتباهي في قصيدة باكثر هو اهتمامه البارز بها، كما أنه أضاف إضافة رائعة في سياق الدفاع ليس فقط عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بل عن الرسول ﷺ وشريعة الإسلام، حينما عرض لمعاناة الرسول ﷺ من كلام المنافقين والمرجفين في عرضه الشريف، وهو ينتظر نزول الوحي لمدة شهر كامل، فلو كان القرآن الكريم من عنده لما أخره كل هذا الوقت، تأمل في قوله:

لو كان من قلبه هذا الكتاب لما قضى زماناً طويلاً وهو في غمم
القصيدة

مقطع عن حديث الإفك من قصيدة نظام البردة للشاعر علي أحمد باكثير.
يقول في مطلعها:

يا نجمة الأمل المَغشَى بالألم كوني دليلي في مُحلُولِك الظلم
في ليلة من ليالي القر حالكة صحابة بصدى الأرياح والديم
إلى أن تخلص بعد قرابة الأربعين بيتاً إلى مدح النبي ﷺ:

حتى إذا وجدت عيناك نفسك في ربوع طيبة ذات المنهل الشبم
فيمم المسجد الميمون في أدب بقلب مذكر في ثغر مبتسم
واعمد إلى الروضة الغنا فحي بها خير الخلائق من عرب ومن عجم
قل السلام على فخر الوجود على خير النبيين طه المفرد العلم
واستجل سيرته قدام روضته تر الكمال بلا زيغ ولا وهم

وفي البيت الثاني والتسعين بعد المائة شرع في الحديث عن حديث الإفك وهو موقف حاسم من سيرته الطاهرة استجلاه الشاعر ببراعة ووجدانية يقول فيه :

و(محنة الإفك) برهانٌ يدل على
لله فيها - وطه في تَبَلُّلهِ
لو كان من قلبه هذا الكتابُ لما
يعذبُ الشكُّ قلباً منه ممتلئاً
فلا يَبُتُّ بأمرٍ فيه وهو على
والمسلمون بحالٍ لا شبيه لها
حتى أتى الوحي بالآيات معلنةً
زوج النبي، ابنة الصديق صاحبه
فأشرقت أوجه الأصحاب من فرح
(منافقون) يراءون النبي ولا
يدري النبي بهم والمسلمون، ولا
أن لا يقال: ابنُ عبد الله يقتل في
ولو أراد لأفناهم بما اجتَرَحُوا

صدق النبي، وينفى سائر التهم
من هولها - حكمةٌ تسمو على الفهم
قضى زماناً طويلاً وهو في غَمَمٍ!
بالحب والطهر مغياراً على الحرَمِ
مثل الأسنّة لم يُبرئ ولم يُصم
من التحير والإشفاق والألم
براءة الطهر ذاتِ القدس والعصم
خير الورى بعد خير الخلق كلهم
وجللت أوجه الأعداء بالسَّخَمِ^(١)
يألون يَمْنُونه بالسّم في الدسم^(٢)
يقضى عليهم وهم أعدى عدوهم
أصحابه (وهو أوفى الخلق بالذمم)
فهم أذلُّ من الجُعْلان والحَلَمِ^(٣)

(١) جللت: غطيت. السخم: السواد.

(٢) يمنونه بالسّم في الدسم: يدسونه فيه له.

(٣) الحلم: جمع حلمة، دويبة معروفة تأكل الجلد.

أبعد هذا يُماري في نبوته
روح من الله أوحاه إلى رجل
إلا أصمُّ عن الحق المنير عَمِي؟!
لا كالرجال بغير الفضل لم يَهَم^(١)
ما كان مشتهراً بالشعر، مفتخراً
باللسنِ مثلَ بني آبائه اللُزْم^(٢)
ولم يكن مَلَكاً، لكنه بشرٌ
فاق الملائك بالأخلاق والعِظَم^(٣)

* * *

(١) لم يهم: لم يولع.

(٢) اللزم: أرباب الفصل في القضايا.

(٣) نظام البردة.

القصيدة الثامنة: (قصيدة / حديث الإفك)

للشاعر / عزيز أباطة

(١٨٩٩. ١٩٧٣م)

ترجمته:

الأستاذ محمد عزيز أباطة أحد الشعراء الذين وقفوا طول حياتهم مدافعين عن مدرسة الشعر العربي الأصيل، والمحافظة على عمود الشعر، ليس بمقالاته ومحاضراته فحسب، بل كذلك بأعماله الفنية المتعددة، سواء في الشعر الغنائي أو الشعر المسرحي. وهو فوق ذلك كله ذو دراية واسعة بأسرار اللغة العربية، حتى إن القارئ ليلحظ ذلك في قصائده الطوال في دواوين شعره حين تضع (القافية) معرفة الشاعر بمفردات اللغة وأسرارها موضع الاختيار، وقد خاضها عزيز أباطة بنجاح.

ولد بالربعمية مركز مينا القمح بمحافظة الشرقية في سنة ١٨٨٩م، وتلقى تعليمه الابتدائي بالمدرسة الناصرية، والثانوي بمدرستي التوفيقية والسعدية، وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩١٨م التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها سنة ١٩٢٣م وعمل بعدها محامياً ثم عضواً بالنيابة العامة، ثم عضواً في مجلس النواب.

وفي سنة ١٩٣٣م عمل بوزارة الداخلية مديراً لتحقيق الشخصية، ووكيلاً لمديرية البحيرة سنة ١٩٣٥م، فوكيلاً لمديرية الجيزة، وفي سنة ١٩٤١م عين مديراً للقليوبية فالفيوم فالمنيا ثم محافظاً وحاكماً عسكرياً لمنطقة القناة سنة

١٩٤١م، ثم مديراً للجيزة، ثم أسيوط، وفي سنة ١٩٤٧م اختير عضواً بمجلس الشيوخ، وعمل بعد ذلك في الميدان الاقتصادي^(١).

ظهر ديوانه «أنات حائرة» فجأة في عالم الشعر العربي عام ١٩٤٣م، إذ لم يكن معروفاً قبل إصدار ديوانه الذي أصدره إثر فجيعة في زوجته التي كان هذا الديوان رثاء لها، ولم يلبث الشاعر أن انتحى منحى «المسرحية الشعرية» وقدم منها ثمانى مسرحيات الأولى «قيس ولبنى»، ثم «العباسة»، و«الناصر»، و«شجرة الدر»، و«غروب الأندلس»، و«شهریار»، و«قافلة النور»، و«أوراق الخريف»، وله مسرحية شعرية باسم «زهرة»، وجميعها مسرحيات تاريخية نهج فيها نهج شوقي.

كان غيوراً على الفصحى يعلو في شعره عن المستوى العام للقراء، دعى في مسرحياته إلى وحدة العرب معتمداً في ذلك على وحدة الدم والدين والوجدان والدفاع عن الإسلام.

دأب خلال عشرين سنة على رعاية نبتة القصة الشعرية التي وضع شوقي غراسها فزكت على يديه وازدهرت أي ازدهار، وتهيأت لمسيرة الركب العالمي للأدب الإنساني. وأعان بذلك على سدّ ثغرة كانت ملحوظة في أدبنا العربي، وبذل جهوداً تعد مرحلة انتقالية وخطوة ضرورية.

عزيز أباطة من شعراء التقليد يعنى باللفظ الجزل والعبارة الفخمة، قال يصف فقده لزوجته:

فقدتها خلةً للنفس كافية تكاد تغني غناء الماء والزاد

(١) ديوان الخالدين ص(٨٣).

يا أخت ذي الرونق الموشي من عمري وعدل نفسي في الدنيا وأولادي
قد ذقت بعدك يتماً حز في كبدي وذاقه في ربيع السنّ أكبادي^(١)
من أعماله الشعرية:

١- «أنات حائرة» صدرت سنة ١٩٤٣م، وقد خصصه كله لثناء زوجته.

٢- قيس ولبنى: مسرحية.

٣- العباسة: مسرحية.

٤- الناصر: مسرحية.

٥- شجرة الدر: مسرحية.

٦- غروب الأندلس: مسرحية.

٧- شهريار: مسرحية.

٨- أوراق الخريف: مسرحية.

٩- قافلة النور: مسرحية.

١٠- قيصر: مسرحية.

ولقد كان الأستاذ عزيز أباظة عضواً في أكثر من هيئة، فكان عضواً
بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وعضواً
مراسلاً بالمجمع العلمي العراقي، وأخيراً عضواً بمجمع اللغة العربية سنة
١٩٥٩م.

(١) تاريخ الشعر العربي الحديث ص (٣٨٢).

قال عنه الأستاذ عباس محمود العقاد في حفل الاستقبال الذي أقامه له المجمع :

«إن اللغوي العالم عزيز أباظة لقي الرحب والسعة من مجمع اللغة العربية، رشحته له أعماله الفصاح، ولم يرشحه له صاحب الأعمال، كأنما شاء أن يصدقني قبل عشرين سنة إذ كنت أقول ما أعيدته الآن: إنه اهتم بالقدرة ولم يهتم بالتقدير، فلم يعرف الراصدون هذا الكوكب إلا وهو في برجه الأسمى، قد جاوز جانبي الأفق وأصعد في سمت السماء»^(١).

وقصيدته التالية من ديوانه «من إشراقات السيرة الزكية» وهو عبارة عن قصائد حول الأحداث الكبرى من حياة المصطفى ﷺ، يتضح من قصائده رَحِمَهُ اللهُ أنه لم يقصد مجرد النظم التاريخي كما غلب على تغريده عايش عبيد، وإنما قصد إيراد السيرة النبوية بتعبير وجداني نطقت فيه الشاعرية وتجلى فيه الإبداع فانصهرت فيه شخصية الشاعر.

قصيدة: حديثك

يا عقد أم المؤمنين	أشعلت حقد الحاقدين
وخلقت للمتخرّصين	مزاعما والكاذبين
قالوا وقالوا ويلهم	من آثمين منافقين
قالوا فراش محمد	طارث حوَالِيهِ الظنون
فإذا خلوا لصحابهم	قالوا هو الخبر اليقين

(١) ديوان الخالدين ص (٨٤).

وسرى الحديث بيثرب
همساً تناقل ثم أمسى
بَلَغَ النَّبِيَّ حَدِيثُهُمْ
فِي أَهْلِهِ آذَوُهُ بَل
وتناوحتة حيرة
أمكذب؟ والضعف قد
أمصدق؟ لا بل نعم
حتى إذا ضاقت به الد
أفضى لها مترفقا
إن جئتها^(٥) فاستغفري
فتقاطرت منها الدموع
وتجيب: إني بالذي
أسلمت أمري وامتشد
يا عائش اعتزي بفض
لا تقنطي برهان رب

من كارهين لوامقين^(١)
عرضة للسامرين
فَأَمْضَهُ الْأَلَمُ الدِّفِينَ^(٢)
فِي حُبِّهِ الصَّافِي الْمَكِين
فإذا به لا يستبين^(٣)
يطوي النساء فينطوين
وَاللَّهُ خَلَّافُ الظُّنُونِ^(٤)
نيا وثار به الحنين
قال اصدقي لا تكذبين
وَاللَّهُ خَيْرَ الْغَافِرِينَ
يَسْلُنُ كَالْغَيْثِ الْهَثُونُ
فطر الخليقة أستعين
تُ له وأمر الظالمين
ملك واطرحي عنك الشُّجون
ك بالغ لك بعد حين

(١) وامقين: محبين.

(٢) أمضه: ألمه وأوجعه.

(٣) تناوحتة: أي أحاطت به.

(٤) تم حذف البيتين التاليين لهذا البيت لبعد دلالة أحدهما على المقصود، وتعلق الثاني به.

(٥) أي إن جئت الخطيئة.

إن كنت غضبي من تغا ضيه فقد كان الطعين^(١)
قومي إليه فخففني ما ضمّ من بث جنين^(٢)
يكفيك أن الله قد برّك في الذكر المبين
فضل خصّصت به ومر يم^(٣) من نساء العالمين^(٤)

* * *

(١) المطعون المتألم .

(٢) الجنين المستخفي .

(٣) مريم ابنة عمران أم المسيح .

(٤) ديوان من إشرافات السيرة الزكية ص(٥٤) .

القصيدة التاسعة: (البريئة)

للشاعرة/ عفيفة الحصني

(١٣٣٧؟ - هـ/ ١٩١٨ - ٢٠٠٣م)

ترجمتها:

عفيفة بنت محمد أمين الحصني . شاعرة كاتبة . ولدت في دمشق سورية ،
وتابعت دراستها في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدينة دمشق .
فحصلت على شهادة البكالوريا الأولى بفرعها الأدبي والعلمي عام ١٩٣٧م ،
والبكالوريا الثانية فرع الفلسفة عام ١٩٣٨ ، وحصلت على دبلوم معهد التربية
(قسم اللغة العربية) بالقاهرة عام ١٩٤١م ، وقد أصبح هذا المعهد في تلك
السنة كلية البنات في جامعة عين شمس ، عملت مدرسة للغة العربية في
مدارس دمشق الثانوية ، ثم مديرة لمدرسة إعدادية ، ثم لمدرسة ثانوية ، ثم
أعيرت في عهد الوحدة إلى وزارة التربية المركزية بالقاهرة . ثم عادت إلى
دمشق فاشتغلت بالتدريس ثانية ، إلى أن تقاعدت .

عضو في اتحاد الكتاب العرب ، نظمت الشعر منذ نعومة أظفارها وفي عام
١٩٤٦ ألقت أول قصيدة ، وألقتها على طالباتها في مدرسة تجهيز البنات
بدمشق بمناسبة عيد الجلاء ، ونظمت بعد ذلك قصائد كثيرة في الطبيعة
والمجتمع والوظيفة والقومية والإنسانية ، وبخاصة الوحدة العربية ، ولحنت
عدة مقطوعات من شعرها غنتها طالبات المدارس بدمشق والقاهرة ،
وأذيع أحدها بإذاعة لبنان وهو نشيد «نعم» ١٩٦٨ نقلاً عن إذاعة القاهرة .

شاركت في الحياة الثقافية والأدبية بشكل فعال في القاهرة ودمشق، فألقت المحاضرات والقصائد الشعرية، وقد نشر إنتاجها في مجلات القاهرة وصحفها مثل مجلة «الرسالة» و«الثقافة» ومجلة «صوت الشرق» وجريدة الجمهورية، وأذيع بعضها في إذاعة القاهرة بالبرنامج الثاني وإذاعة فلسطين، من دواوينها الشعرية: «وفاء» ط ١٩٦٦ و«شاهد التضحيات» ط ١٩٧٠ و«ولاء» ط ١٩٧١ و«عازفة القيثارة» ط ١٩٧٩ و«سرب البحر» ط ١٩٨٩، ومن مؤلفاتها: «القراءة الموحدة» - بالاشتراك، و«مشروع النشاط المدرسي» - بالاشتراك، و«الاطلاع الخارجي لمادة اللغة العربية» - بالاشتراك، و«المرأة في شعر أبي العلاء»، و«مرايا ونساء»، كتب عنها: مي غريب، ونزار بهاء الدين الزين، ووصال سمير، وحسان عزت، ومروان المصري^(١).

وتوفيت رحمها الله في ١٢/٩/٢٠٠٣ م.

أسمت قصيدتها التي تحدثت فيها عن حديث الإفك (البريئة)، وقد استعرضت جميع القصائد التي قيلت في هذا الشأن فوجدت قصيدتها قد تفوقت عليها جميعاً، فقد استشعرت بفطرة المرأة معاناة عائشة رضي الله عنها، وبراعتها الشعرية استطاعت أن تجسد هذه المعاناة وتصف أدق الأحاسيس، قال الشاعر محمود غنيم حول شاعريتها في هذه القصيدة:

«وتتمتع الشاعرة بمقدرة على توليد المعاني، وعلى إدارة الحوار الشعري، وعلى صياغتها للشعر القصصي، في أسلوبٍ سمح لا تكلف فيه ولا افتعال، كما يتجلى ذلك في قصيدة عائشة أم المؤمنين».

(١) معجم الشعراء (٣/٣٩٣).

وعلى ذكر القصيدة لا يسعنا إلا أن ننوه بمقدرة الشاعرة وحسن تناولها لموضوع الإفك، والتعبير عن أحاسيس عائشة أم المؤمنين تجاه هذه الفرية التاريخية التي تتعلق بأقدس شيء تحرص عليه المرأة، تلك الأحاسيس التي لا يجيد الإفصاح عنها إلا أنثى في مثل شبوب وجدان الشاعرة، عفيفة الحصني وإرهاف مشاعرها^(١).

وفي إطار النقد الفني قال الشاعر غنيم عن شعرها:

«وشعر الشاعرة عفيفة الحصني كله من الشعر العمودي الأصيل، لم يهجنه إخلال بقافية أو خروج عن وزن، ولا يقدر في أصالته ما قد تجده من هنوات عروضية لا يضيق عنها باب التسامح، أو تنبو عن إساعتها الأذواق».

من شعرها:

قولها من قصيدة الحرية في ديوانها (وفاء):

تنشدُ الأطيَّارُ في أجوائها نغمًا يحيى نفوساً تطربُ
وتعافِ الذلَّ في أقفاصها وتباكي حظها إذ تندب
هكذا شأنُ الأماني حرةً يفتديها كلُّ شهم يغضب

قصيدة: البريئة (عائشة أم المؤمنين)

وليلٍ ضريرِ النِّجمِ أمستْ تبثُّه حديثَ الهوى القدسيِّ والحبِّ والسحرِ
ضحيةً أفاك تناول عَشَّها بتهمةٍ إغواءٍ أحرَّ من الجمرِ

تبيتُ على شوك يقضُّ فراشها
ويرقئُ في العين السخية دمعها
إلى الأم لاذت تستجيرُ بعطفها
وردتُ عليها بالدموع وبالأسى
عليك بصديق الرسول لعله
فمدت يداً تستهلفُ العونَ والحمى
وصاحت به والحبُّ يعصرُ قلبها
أيا أبت ارحمني وأخبر محمداً
ولا تترك العذال يسرون بالهوى
فقال أبو بكرٍ لفلذة كبده
وماذا أراني - لو دعاني محمدٌ -
وحار حبيبُ الله بالإفك سارياً
وقال: إذا أذنبت فالله غافرٌ
ولا تقنطي من رحمة الله إنه
فعادت إلى الرحمن تفتح قلبها
وتهتفُ، يا رباهُ إني بريئةٌ
إليك شكاتي من ظلمات قومنا
جفاني أحبابي وصحبي وعشرتي
ومن كنتُ بالأمس القريب له يداً

وتشكو تباريحاً أحرَّ من الجمر
لهيبُ الهوى تصلاه من لوعة الهجر
فلم تُفتِّها الأمُّ الحنونُ ولم تدر
وأهات صدر ضاق بالإفك والشر
يجيء ببرهان البراءة للخدر
لوالدها الحاني عليها بلا فخر
ويفري سويداء الكرامة والكبر
بما كنتَ تدري من تقاي ومن طهري
فأنت بما ألقاه منهم على خُبر
وكيف أرد الخطبَ عنك بلا عذر؟
أقدمُ من آي الدفاع عن الوزر؟
وما لأكه الأقوام من قصة الغدر
فتوبي إليه يا حميراً بالسر
رءوفٌ يقيلُ العبدَ من وُصمة العثر
وتفضي بما يتتابه من أذى الدهر
وأنتَ عليمٌ بالسرائرِ والجهر
فكن ناصري يا رب من قسوة الجور
فهل ترتضي بالهمسِ منهم وبالمكر؟
وعوناً على جور الزمانِ بلا أجر

فَهَمْتُ عَلَى وَجْهِي وَخَارَتْ عَزِيمَتِي وَسُدَّتْ أَمَامِي السَّبِيلُ طُرّاً بِلا ثَغْرِ
وَقَالَ لَهَا وَالْحَبُّ يَعْمرُ قَلْبَهُ وَيُبْدِي حَناناً كالرياحين والزهر
بَرِّتِ فَقُومِي يَا حَمِيرَاءُ وَاعْزِفِي لِهَادِي الْوَرَى أَغْرُودَةَ الْحَبِّ وَالْبِشْرِ
فَقَالَتْ، بَلِ اللَّهُ الْكَرِيمَ بَلْطَفِهِ أَخْصُ بِأَفْرَاحِي وَأُخْلِصُ بِالشُّكْرِ
أَطَعْتُ إِلَهِي فَاسْتَجَابَ لِدَعَوَتِي وَصُنْتُ عَفَافِي وَاسْتَعَذْتُ مِنَ الشَّرِّ^(١)



(١) ديوان وفاء ص(١٢٩).

القصيدة العاشرة: (الذين جاؤوا بالإفك)

للشاعر/ د. محمد رجب البيومي

ترجمته:

ولد الدكتور محمد رجب البيومي في أكتوبر سنة ١٩٢٣، بقرية «الكفر الجديدة» مركز المنزلة محافظة الدقهلية، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمعهد الزقازيق الديني ثم انتقل إلى القاهرة طالباً بكلية اللغة العربية، وحصل منها على درجة الليسانس سنة ١٩٤٩م، ثم واصل دراسته العليا، حتى حصل على الدكتوراه من كلية اللغة العربية بمرتبة الشرف الأولى.

عمل مدرساً ثم أستاذاً، فعميداً لكلية اللغة العربية بالمنصورة، وكان مقرراً للجنة البلاغة، وعضواً بلجنة الأدب والنقد لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر.

كما عمل أستاذاً بالجامعات العربية عدة سنوات، واشترك في مؤتمرات علمية في عواصم مختلفة بالدول العربية، وأشرف على كثير من الرسائل الجامعية وشارك في مناقشة كثير منها، ويعمل الآن رئيساً لتحرير مجلة الأزهر وعضواً بمجمع البحوث الإسلامية.

جوائزه الأدبية :

وقد نال الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي جوائز أدبية عديدة منها:

* جائزة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٨م، عن المسرحية الشعرية (ملك غسان).

- * جائزة شوقي بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بمصر سنة ١٩٦١م، عن المسرحية الشعرية (انتصار).
- * الجائزة الأولى بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، عن المسرحية الشعرية (فوق الأبوة) سنة ١٩٦٢م.
- * جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٣م، عن ديوانه الشعري (صدى الأيام).
- * الجائزة الأولى بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٤م، في الدراسات الأدبية عن كتابه (الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثير).
- * جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م، في التراجم الأدبية عن حياة (محمد توفيق البكري).
- * جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٢م، عن المسرحية الشعرية (بأي ذنب).

كتابات:

الدكتور محمد رجب البيومي كاتب سخي العطاء أثرى المكتبة العربية بمؤلفات شتى في مجالات متنوعة... ففي الدراسات القرآنية له: (البيان القرآني)، و (خطوات التفسير البياني) أصدرهما مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، و (التفسير القرآني) أصدرته المؤسسة العربية الحديثة.

وفي مجال السيرة والسنة ألف (البيان النبوي) أصدرته دار الوفاء للنشر وهو رسالته للدكتوراه، و(في ظلال السيرة النبوية) أصدرته المؤسسة العربية الحديثة، و(السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين مناقشات وردود) أصدرته الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر.

أما التاريخ الإسلامي فقد حظي بجهد كبير من الدكتور البيومي، إذ أصدر عدداً كبيراً من المؤلفات التاريخية منها: «صفحات هادفة من التاريخ الإسلامي»، و «من شرفات التاريخ»، و «من القصص الإسلامي» «جزءان» المؤسسة العربية الحديثة، و«الأزهر بين السياسة وحرية الفكر» دار الهلال ثم أصدره مجمع البحوث الإسلامية.

وللدكتور محمد رجب البيومي عناية كبيرة بأعلام الإسلام وعلمائه، فكشف عن جهودهم العلمية، وجهادهم ضد الباطل وتصديهم لأراجيف المرجفين وذلك في مؤلفاته «علماء في وجه الطغيان - مع الأبطال - ابن حنبل» عن مجمع البحوث بالأزهر، «مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن»، «محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح»، «أحمد أمين»، «محمد فريد وجدي»، «هارون الرشيد»، «أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد» أصدرته دار الأصاله بالرياض.

«أعلام العصر، كيف عرفت هؤلاء» أصدرته الدار المصرية اللبنانية، ثم إن له من وراء ذلك كتاباً جامعاً هو «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين» «٥ أجزاء»، دار القلم بيروت.

والدكتور محمد رجب البيومي رائد في الدراسات الإسلامية، ومن مؤلفاته في هذا المجال «في ميزان الإسلام» «جزءان»، و«من منطلق إسلامي» «جزءان» و«مجالس العلم في حرم المسجد»، و«المثل الإسلامية»، و«قضايا إسلامية مناقشات وردود» «جزءان» دار الوفاء بالمنصورة.

وله في الدراسات الأدبية والنقدية باع طويل، فألف كتباً منها (الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير)، و(النقد الأدبي للشعر الجاهلي) أصدرهما

المجلس العلمي لجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض. و«دراسات أدبية» أصدرته دار السعادة بمصر، و«نظرات أدبية» «أربعة أجزاء» أصدرته دار زهران بمصر، و«حديث القلم»، و«قطرات المداد» أصدرهما النادي الأدبي بجدة، و«بين الأدب والنقد» أصدرته الدار المصرية اللبنانية.

ولم يقف نتاجه الأدبي عند الدراسة الأكاديمية وحدها، بل تخطاه إلى الإبداع الأدبي قصة وشعراً ومسرحية.

فمن مسرحياته: «انتصار»، «فوق الأبوة» في كتاب واحد، مطبعة السعادة، و«بأي ذنب»، و«ملك غسان» «مسرحية شعرية» أصدره مكتب الجامعات للنشر.

ومن دواوينه: «صدى الأيام»، و«حنين الليالي» مطبعة السعادة. و«من نبع القرآن»، و«حصاد الدمع» دار الأصالة بالرياض.

كما أصدر قصصاً للأطفال، في أجزاء متوالية: أصدرتها دار الأصالة، ودار القاسم بالرياض:

- | | |
|---------------------|----------------------|
| (١) المغامر الشجاع. | (٢) الهمة العالية. |
| (٣) مؤامرة فاشلة. | (٤) الفارس الوفي. |
| (٥) يوم المجد. | (٦) دجال القرية. |
| (٧) الحبل الأسود. | (٨) الفتاة المثالية. |
| (٩) إلى الأندلس. | (١٠) رحلة الخير. |
| (١١) الله معي. | (١٢) بطل شيبان. |

- (١٣) إلى الإسلام . (١٤) لست وحدي .
 (١٥) حكمة الله . (١٦) الأصل الطيب . . (وغيرها) .
 وقد تدفقت مقالاته عبر أنهر الصحف والمجلات ؛ فكتب في مجلات :
 (١) الأدب الإسلامي . (٢) الأديب .
 (٣) الأزهر . (٤) الأقلام .
 (٥) الثقافة . (٦) الحج .
 (٧) رابطة العالم الإسلامي . (٨) الرسالة .
 (٩) الضياء . (١٠) علامات .
 (١١) الفيصل . (١٢) الكتاب .
 (١٣) المجلة العربية . (١٤) منار الإسلام .
 (١٥) المنهل . (١٦) الهلال . . . (وغيرها)^(١) .

ومن شعره :

قوله من قصيدة حول الغيبة وهي من دقيق المعاني وجليل المقاصد :
 ولي قصة شدّ ما أكّدت بليغ العظّات لمن فكّر
 فبالأمس غال الردى أرقماً فغودر منبطحاً في الثرى
 تروّعك ذلّته هامداً وكان العزيز المنيع الذرى
 تأملّته بديراً مُهملاً فأثر في النفس ما أثرا

(١) صوت الإسلام الصارخ . جاء التعريف به في ذيل الكتاب .

ومن فوقه كاسرٌ قد سطا وأنشَبَ في مثنيه مُنْـسِـرا
 يَمْزُقُ ما شاء من لحمه وينقُرُ ما استطاع أن ينقُرَا
 فطارِدَتْهُ محنقاَ غاضباَ كأني أرى حَدَثاً أخطِـرا
 لقد هاج نهشُ الصَّلالِ الأسي بقلبي فزَمَجَرَ ما زمجرا
 فكيف بمن نهَشَ الأصدقاء أكرمُ في الناس أم يُزدرى^(١)

قصيدته التي في حديث الإفك من ديوانه من نبع القرآن تتساق مع قصيدة أحمد محرم في القص الشعري، قال الدكتور الناقد محمد صالح الشنطي حول هذه القصيدة:

«وهذه القصيدة التي تمثل نهجاً جديداً قد توفرت فيها عناصر القصة الشعرية من حيث الحدث وتناميهِ وبلوغه الذروة، والقدرة على رسم الشخصيات واستبطان دواخلها، وتصوير الصراعات المحتدمة في أعماق نفوسها، والحبكة المتقنة والمغزى والنسيج اللغوي الذي يستمد معجمه من آي الذكر الحكيم، أما التعليقات التي تدخل بها في سياق النص فجاءت انسجاماً مع الرؤية الإسلامية التي يتبناها الشاعر، وإن كانت لا تتسق مع أصول الفن وجمالياته، غير أننا أشرنا منذ البدء إلى أن الجانب التربوي والتعليمي وإن لم يكن من طبيعة الفن فإنه من غير الممكن أن يخلو منه نص كهذا يستوحي القرآن الكريم ويستلهم آياته^(٢).



(١) ديوان من نبع القرآن ص (٥١).

(٢) في الأدب الإسلامي ص (٢٤٨).

قصيدة / الذين جاؤا بالإفك

للشاعر / د. محمد رجب البيومي

أَخَذْتُ تبكي وقد رَانَ المساءُ
نَشَدْتُ كهفاً يوارِيها فما
ظِلْمَةٌ تَطغى بقفر موحِشٍ
هَجَمَ الليلُ بها مفترساً
ذَكَرْتُ أحمدَ، لو يَعْلَمُ ما
شَأْنُهَا الدَّائِبُ أَنْ تَذْكُرَهُ
ذَكَرْتُ أحمدَ حيثُ استشعرتُ
طيفه أوحى إليها ثقةً
عقلها يغلي بشكٍّ كلَّما
غَيْرَ أَنَّ القلبَ في أعماقه
أَطْرَقَتْ فاستمعتُ ذا صيحةٍ
مُدْلَجٍ أَسْأَمُهُ المسرى فلم
من بعيدٍ تسمعُ الصوتَ ولا
نَظَرْتُ وارتجفتُ تحذرُ أَنْ
إِنَّه يشدو، وما يعقلُ أَنْ

ويحهم قد تركوها في العراءِ
وجدتُ مأوى لها غيرَ الفضاءِ
تَفَزَعُ الأسدُ به كيفَ الظباءِ؟
كلُّ نجمٍ سيءُ الحظِّ أضاءَ
هيَ فيه، قطعَ البِيدَ وجاءَ
في دجى الشرِّ، فينجابُ البلاءِ
في اختناقِ اليأسِ روحاً من رجاءِ
لم تَتَحَّ إِلَّا لرهطِ الأنبياءِ
أَبْصَرْتُ واقعها قَيْدَ الشَّقَاءِ
وَاثِقٌ بِاللَّهِ يَرْجُوهُ النَّجَاءِ
يُرْقِصُ البِيدَ على صوتِ الحداءِ
يجدُ السلوانَ إِلَّا في الغناءِ
تبصرُ القادمَ، والليلُ عَمَاءِ
يَثْبَ الليلُ عليها باعتداءِ
ينهجُ الغرِيدُ نَهَجَ الأشقياءِ

غيرَ أَنَّ النومَ قد أنقذها
 أيُّ عونٍ قَدَّمَ النّومُ لها
 ودنا صفوانُ فاستَفْطَعَ ما
 هابها في نومها قديسةً
 هبَّ يدعو الله كي يوقظها
 دعوةً نَمَّتْ عليه فاغتنى
 أُيقِظَتْ من وعيها فانتبهت
 وتنحى، فاعتلت واثبةً
 قبسٌ مؤتلقٌ من أحمد
 واصلَ المسعى بها إذ ضَمِنَتْ
 أترى الناقةَ قد باهت بها
 وردت منزلها هانئةً
 عصبه ألهبها الحقدُ جوى
 حَطَمَ الإسلامُ منها شِرةً
 خَنَسَتْ مذعورةً من بطشه
 غيرَ أن الحقدَ قد أورثها
 مالها لا تنشرُ الإفكَ لظى
 أوهموا أغرارهم فانطلقوا
 قَدِمَ الركبُ، وجاءت بعده
 فارتمت تنهلُ منه ما تشاء
 فطوى أشجانها طيَّ الرِّداء
 قادها للتيه في القفر الخلاء
 سَهَرَتْ تحرُّسها عينُ السَّماء
 ألغى الله نسعى بالدعاء
 واضحَ النِّبْرةِ بين الحنفاء
 لترى الهودجَ مستور الغطاء
 ما رأى طلعتها الزهراء راء
 أذنَ النفسَ بما يمحو العناء
 راحةَ القلبِ وموفور الهناء
 فمضت تسحبُ ذيلَ الخيلاء
 موردَ الطيرِ على ظلٍّ وماء
 فمضت تأكلُ لحمَ الأبرياء
 تعشقُ الزُّورَ وتلتذُّ العدا
 فتهي لا تلقاه، شأن الضعفاء
 شرراً هيج منها البرحاء
 طائرَ الشُّعلةِ يَصْلِي الأتقياء
 كلُّ فردٍ منهمو كالْبَبْغاء
 مع صفوانَ، وفي الأمر خفاء

هكذا قالوا وَلَجَتْ فِتْنَةٌ
ويلهم، قد سقط العقد فَلِمَ
إِنْ تَكُنْ تَعْلَمُ مَا يَعْقِبُهُ
وَأَتَى الْأَمْرُ أَبَا بَكْرٍ فَمَا
وَاثِقٌ مِنْ عَرْضِهِ يَرْمِضُهُ
لَمْ يُطِقْ مَرَأَى رَسُولِ اللَّهِ فِي
وَرَسُولِ اللَّهِ مَا أَهْدَاهُ
تَرَكَ السَّيْلَ بِمَجْرَاهِ وَقَدْ
سَائِلٌ عَنْهَا فَمَا يَتْرُكُهَا
كَيْفَ تِيكُمْ؟ بَاحِثًا مُسْتَفْسِرًا
يَا لَهَا اللَّهُ، تَدَجَّى خَطْبُهَا
سَقَطَتْ مِنْهَارَةً يَنْهَشُهَا
أَيُّ إِفْكَ زَعْمُوهُ وَيَحَهُمُ
وجاء في القصيدة أيضاً:

وَدَّتِ الْمَوْتَ، وَهَلْ يَمْنَعُهَا
سُحْبٌ لَيْسَ يُجَلِّي غِيَمَهَا
يَذَلِّهِمُ الْجَوُّ فِي عَاصِفَةٍ
ثُمَّ يَصْفَوُ، فَإِذَا الْأَفْقُ سَنًا
مِثْلَمَا يُسْعِدُ لِأَلَاءِ السَّنَا
بعد أن تمضي هراء الأدياء
غَيْرُ جَبْرِيلَ بُوْحِي ذِي جَلَاءٍ
مَا لَوْحِشِ الْقَفْرِ فِيهَا مِنْ وَقَاءٍ
مِنْ لُجَيْنٍ، وَإِذَا الرِّيحُ رُخَاءٍ
مَقْلَةً الْخَابِطِ فِي التِّيهِ الْعَمَاءِ

ضَلَّ مَا ضَلَّ بِدَاجٍ غِيَهَبٍ
جَلَجَلَ الذِّكْرُ بِهَا تَبْرَةً
لِلخَبِيثَاتِ الْخَبِيثُونَ وَمَا
طَيِّبٌ يُهْدَى إِلَى طَيِّبَةٍ
جِئْتُمُو بِالْإِفْكِ يَرْمِي جَمْعَكُمْ
قَدْ تَوَلَّى كِبْرَهُ ذُو حَسَدٍ
لَمْ يُصِبْ مِنْ أَحْمَدٍ أَهْدَافُهُ
هَبْهُ يَقْلِي أَحْمَدًا، مَا صَنَعْتُ
أَصِيلٌ سَيْدٌ فِي قَوْمِهِ
هُوَ مِنْ دَهْمَائِهَا فَلْيَعْتَرَفْ
أَيُّ حَسَنَاءٍ حَصَانٍ خَصَّهَا
أَشْرَقَتْ فِي سُورَةِ النُّورِ فَمَا
إِنْ تَكُنْ مَرْيَمٌ نَالَتْ فَخْرَهَا
أَصْبَحَتْ أَسْوَةً غِيدَ بَعْدَهَا
فَرَفَعَنْ الْأَمْرَ لِلَّهِ كَمَا
لَيْتَ مَنْ يَرْمِي بِإِفْكِ غَادَةٍ

تَعَزَّفُ الْجَنُّ بِهِ لَحْنَ الرِّثَاءِ
تُسْقِطُ الْغَيْثَ عَلَى قَوْمِ ظِمَاءِ
كَانَ زَيْنُ الْخَلْقِ بَيْنَ الْخُبَثَاءِ
طَهَّرَ الْمَغْرُسُ أَصْلًا وَالنِّمَاءِ
بَشَوَاطِ لَاهِبٍ يَوْمَ الْجَزَاءِ
بَرَحَ الْغِلُّ بِهِ وَالْغِلُّ دَاءِ
فَانْتَحَى زَوْجَتَهُ كَيْمَا يُسَاءِ
زَوْجَةٌ تُمْنَى بِكَيْدِ اللُّؤْمَاءِ
ثَالِبُ الْأَغْرَاضِ بِالزَيْفِ الْهُرَاءِ؟
بَخْنَاهُ لَيْسَ أَهْلًا لِلْعِلَاءِ
رُبُّهَا الْأَعْلَى بِإِكْلِيلِ الثَّنَاءِ
مَثَلَهَا فِي أَوْجِهَا ذَاتُ بَهَاءِ
فَهُمَا فِي دَوْلَةِ الْحُسْنَى كَفَاءِ
صَرَنْ نَهْبًا لِادْعَاءِ التَّعْسَاءِ
رَفَعْتَ وَاللَّهُ عَوْنَ الضَّعْفَاءِ
يَدْرُكُ الْعُقْبَى فَيُثْنِيهِ الْحَيَاءُ^(١)

* * *

(١) ديوان من نبع القرآن ص (٧٩).

القصيدة الحادية عشر: قصيدة / عائشة رضي الله عنها

للشاعرة / عليّة الجعّار

(١٣٥٤؟ هـ / ١٩٣٥ م)

ترجمتها:

عليّة بنت محمد بن أحمد الجعّار، ولدت في مدينة طنطا. مصر. تلقت مبادئ اللغة العربية على يد والدها، وحفظت كثيراً من دواوين الشعر، وقرأت أمهات كتب الأدب، ثم التحقت بكلية الحقوق . جامعة القاهرة، وتخرجت فيها عام ١٩٦٠م. اشتغلت بالمحاماة ثم التحقت بالعمل في التلفزيون، وتدرجت في المناصب إلى أن وصلت إلى درجة مدير عام الشئون القانونية بالتلفزيون.

من دواوينها العسرية:

«إني أحب» ط ١٩٦٨م، و«أتحدى بهواك الدنيا» ط ١٩٧٧م، و«غريب أنت يا قلبي» ط ١٩٨٣م، و«ابنة الإسلام» ط ١٩٨٧م. كانت الجامعية المثالية لجامعة القاهرة، وحصلت على ميدالية المسرح الجامعي، وجائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري . فرع أفضل قصيدة عام ١٩٩٠م^(١).

(١) معجم الشعراء (٧٠/٤).

قصيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا :

نجمٌ يضيئُ فيقبسُ العلماءُ
من مثل عائشة النبوة من له
حسناً في عمر الزهور يزيناها
تلميذة في بيت خير معلم
جبريلٌ يوحى والنبيُّ مرتلٌ
وهي النقاء مؤكداً ومجسداً
لما رمتها في المدينة عصبه
اللهُ برأها وأعلى قدرها
يا أيها التاريخ قل عن زهداها
أم لكل المؤمنين ولم يكن
حازت لدى قلب النبي مكانةً
فهي ابنة الصديق صاحب أحمد

نبح يفيض فينهل الفقهاء
في الدين فقه مثلها وعطاء
عقلٌ كبير ناضجٌ وذكاء
تقتات منه العلم كيف تشاء
آي الكتاب وكلها إصغاء
فالطهر تاج والعفاف رداء
بالإفك راحوا يهمسون وجاءوا
وملائك شهدت لها وسماء
ما هز من أركانه أهواء
منها بيت المصطفى أبناء
ما طاولتها في الفؤاد نساء
والخير فيما أنجب الكرماء^(١)

* * *

(١) مجلة الأزهر، يناير ١٩٩٠م.

القصيدة الثانية عشر: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

للشاعر / د. عبد الله باسراحيل

(١٣٧٠ - ... هـ / ١٩٥١ - ... م)

ترجمته:

الدكتور عبد الله محمد صالح باسراحيل . ولد بمكة المكرمة . المملكة العربية السعودية ، حصل على بكالوريوس العلوم السياسية ، فماجستير الدراسات الدولية ١٩٨٤ ، فدكتوراه الفلسفة الإنسانية ١٩٨٧ م ، كما حصل على دبلوم أكاديمية اتحاد الأدباء اليونانيين المصريين بأثينا .

يشغل حالياً منصب رئيس مجلس إدارة مجموعة الباشراحيل للمشاريع الإنمائية ، ورئيس مجلس إدارة مستشفى محمد صالح باسراحيل ، ورئيس مجلس إدارة فروسية مكة .

من دواوينه الشعرية : «معذبتى» ط ١٩٧٨ و «الهوى قدري» ط ١٩٨٠ و «النبع الطامى» ط ١٩٨٦ و «الخوف» ط ١٩٨٨ و «قبضة الريح» و «البحر الطامى» خ . وله : «قصائد في أحداث الخليج» .

نال بعض الأوسمة والميداليات التقديرية من بعض النوادي الأدبية بالمملكة ، وتم تكريمه في اليونان في حفل كبير . كتب عنه : زين كامل الخويسكي ، وعباس عجلان ، وعبد الله سرور ، كما صدرت دراسة لديوانه النبع الطامى عن الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب بالإسكندرية

قدم لها الدكتور محمد مصطفى هدارة^(١).

قصيدته تحدثت عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن فضائلها ولم يتحدث عن حديث الإفك إلا في ثلاثة أبيات، والقصيدة على الرغم من قصرها إلا أنها قد أشارت إشارات خاطفة لأبرز فضائلها ومواقفها ومعالم شخصيتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قصيدة أم المؤمنين:

أُمْنَا تِلْكَ وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ	زَوْجَةُ الْمُحَمَّدِ أَخْلَاقًا وَدِينًا
يَا أَحَبَّ النَّاسِ بِالْمَبْعُوثِ تَعْلُو	وَأَشَدَّ الْخَلْقِ حِرْصًا وَيَقِينَا
يَا ابْنَةَ الصَّدِيقِ مَأْثُورِ الْعَطَايَا	قَدْ زَكَا نَفْسًا وَبِرًّا وَشَوْوْنَا
نَصَفُ دِينَ الْخَلْقِ مِنْهَا نَجْتَلِيهِ	إِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ الْمُخْتَارِ فِينَا
قَدْ وَعَتْ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ عِلْمًا	وَرَعَتْ مَا كَانَ حَقًّا مُسْتَبِينَا
تَقْتَرِي النُّورَ الَّذِي كَمْ تَصْطَفِيهِ	وَتَرَى الْجَنَّةَ رَوْضًا وَعَيْوْنَا
يَفْزَعُ الْخَلْقُ إِلَيْهَا بِاحْتِكَامٍ	فَتَعِيدُ الْحَقَّ وَضَاحًا مَبِينَا
لَمْ تَكُنْ تَرْجُو مِنَ الدَّهْرِ نَوَالًا	وَهِيَ فِي الدُّنْيَا نَوَالٌ يَجْتَبِينَا
عَاشَتْ الْفَقْرَ مَعَ الْمَبْعُوثِ عَمْرًا	وَهِيَ فِي الْحَرْبِ تَدَاوَى الْمُؤْمِنِينَ
يَا لَهَا أُمًّا رُؤُومًا قَدْ تَسَامَتْ	وَتَسَاقَتْ مِنْ هَدَى اللَّهِ سِينَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَحْيًا	بِرًّا لِلَّهِ لَهَا عَرْضًا حَصِينَا
وَهِيَ بِالْحَمْدِ وَبِالشُّكْرِ تَنَاجِي	رَبَّهَا الْمَعْبُودَ حُبًّا وَحْنِينَا

(١) معجم الشعراء (٣/ ٢٨٦).

تلبسُ الطهرَ عفافاً وأماناً
(الحميراء) وما أغلاه وصفاً
وهي من نور الهدى أضواء فجر
رضي الله عليها وحبها
إنما لله إنعامٌ وفضلٌ
تنهلُ النورَ رحيقاً ومُزونا
من نبيِّ الله نبعاً ومَعينا
عطرَ الدهرِ شمالاً ويمينا
جنةَ الخلد نعيماً وفتونا
هكذا الله يجازي الصابرينا^(١)

١٤٢٢/١/٩ هـ - ٢٠٠١/٤/٣ م

القصيدة الثالثة عشر: قصيدة حديث الإفك

من تغريدة السيرة النبوية

للشاعر/ محمد عايش عبيد

ترجمته:

كان مدرساً بالأزهر ثم مشرفاً على شؤون القرآن الكريم بالمعهد الديني بالعريش، ألف كتاب تغريدة السيرة النبوية، وهو كتاب من أربعة أجزاء في مجلدين، نظم فيهما سيرة النبي ﷺ من خلال المعلومات التاريخية الواردة في سيرة ابن هشام، وقد غلب على كثير من أجزائها النظم والتكلف، إلا أنها تعد محاولة مهمة في سياق الكتابة الإبداعية في سيرة النبي ﷺ، وطريقته كانت أن يورد الأبيات في صفحة وفي الصفحة المقابلة لها يأتي بالمعنى الإجمالي لهذه الأبيات، يقول في مطلع ملحمة:

لك يا رسول الله مني هذه تغريدتي أودعتها مكنون صدري بل عصارة فكري

أشدو بها في حبكم ذاك الذي هو شرعتي أهديتها لك كي أعبر عن صفاء محبتي^(١)

وقد أقدم على كتابة السيرة شعراً عدد من أعلام الفكر والأدب كالشاعر أحمد محرم، في ديوان مجد الإسلام - كما ذكرنا سابقاً - وعزيز أباطة في ديوان من إشراقات السيرة الزكية، والأستاذ السفير عبد الحميد الخطيب في تائية الخطيب، وقد لاحظت أن محمد عايش عبيد هو أقلهم

(١) تغريدة السيرة النبوية ص (١).

شاعرية وما هذا إلا لأنه أراد كتابة سيرة النبي ﷺ كلها شعراً، وفي بعض مواضع من السيرة النبوية معلومات تاريخية وخطط عسكرية وغيرها مما لا يحفز الخيال والوجدان عند الشاعر حتى يكتب إبداعاً شعرياً.

وقد استقيت قصيدته عن حديث الإفك من تغريدته، ولما أسلفت من رغبة الشاعر بالإحاطة بالسيرة النبوية كاملة كانت قصيدته أطول القصائد وأقلها شاعرية، ويبدو أن الشاعر قد استطاب هذا المنهج في الكتابة الإبداعية حتى كتب: «يوسف الصديق» شعراً ونثراً، لكن ربما كانت شاعريته أنقى وأقل تكلفاً مما حدا بمقدمها الإمام العالم أحمد حسن الباقوري رحمته الله أن يعبر عن سعادته بها بقوله: وجدته - أي شعره - شعراً شاعراً ونثراً رائعاً بحيث أقنعني بأن هذه الرسالة تستحق من عناية أهل العلم بها ما يهتف بهم على إذاعتها في الناس ويتنفع بأسلوبها الأدباء والمتأدبون.

قال فيها:

يا ابن الكرام فأنت في عين العناية عن يقين
السجن مكتوب عليك فلا تكن في الساخطين
فاصبر على البلوى تفز بالمجد بين الخالدين
قد كان قبلك أنبياء فلم يكونوا مترفين
لاقوا من الأهوال ما قد فاق وصف الواصفين^(١)

كما كتب في نفس الأسلوب كتاب: (الشعر في موكب السنة المطهرة) وقد عمد الشاعر إلى بعض أحاديث النبي ﷺ ونظمها.

(١) يوسف الصديق شعراً ونثراً ص (١٦٣).

القصيدة / حديث الإفك من تغريدة السيرة النبوية

عائشة رضي الله عنها تروي ذكرياتها

في شأن عائشة الطهور وقصة الإفك الخطيرة
فلقد روتها وهي صادقة، فكم كانت مثيرة
قالت: أراد المصطفى غزواً لأطراف الجزيرة
واختارني بالاستهام^(١) لرحلة كانت مريرة
في هودجي قد كنت أجلس عند مبتدأ المسيرة
يأتي الرجال فيحملون لهودجي فوق^(٢) البعيرة
جسمي خفيف لم أكن أثقلت باللحم الكثيرة
لا يشعرون بأنهم حملوا لأثقال كبيرة
ويواصلون مسيرهم منذ الصباح إلى الظهر
وإذا استراحوا واصلوا الترحال في وقت قصيرة
قبل الرحيل أكون داخل هودجي مثل^(٣) الصغيرة
وعليه أستار فيحجبني عن العين البصيرة
لم ينظروا في هودجي، بل يحملوني في سريره^(٤)

(١) واختارني بالاستهام: بالقرعة.

(٢) فوق البعيرة: البعيرة مؤنث بعير وهي الناقة.

(٣) مثل الصغيرة: مثل البنت الصغيرة..

(٤) يحملوني في سريره: في تكتم وسر.

تخلف عائشة عن القافلة

هذي الرواية لا تزال تثيرُ شوق السامعين
من قول عائشة الطهور، ومن رواية آخرين
كلُّ الرواة يؤكدون مقالَ أم المؤمنين
قالت: لقد بتنا وكنا للمدينة عائدين
في موضعٍ قرب المدينة قد أناخوا^(١) نازلين
باتوا وعند الفجر نادوا للرحيل مبكرين
قد كان هذا دأبهم في سيرهم كمحاربين
حمل الرجالُ لهودجي فوق البعير المستكين
لم يشعروا أنني به، أو لست فيه على اليقين
لم يرفعوا الأستار، أو لم يسألوا مستفهمين
قد واصلوا ترحالَهُمْ نحو المدينة ذاهبين
قد كنت عند رحيلهم في حاجتي^(٢) كالآخرين
رحلوا ولم أشعر بهم حتى تولّوا راجعين
لما قضيت لحاجتي، قد ضاع لي عقد^(٣) ثمين
فظللت أبحث عنه في جنح الظلام لأستبين

(١) أناخوا نازلين: أي للمبيت.

(٢) في حاجتي: كانت قد ذهبت لقضاء حاجتها بعيداً عن مكان نزولهم.

(٣) ضاع لي عقد ثمين: فقد عقدها الثمين.

أول حديث الإفك

ها نحن لا زلنا نواصل للرواية سامعين
تحكي لنا أختُ الطهارة زوجة الهادي الأمين
قالت: وجدتُ العقدَ، فوراً عدت نحو^(١) النازلين
واحسرتاه، فلم أجدهم، أسرعوا مترحلين
فجلستُ والدنيا ظلامٌ حيث كنا^(٢) نائمين
ثم اضطجعت لعل بعضَ القوم جاءوا باحثين
وإذا بصفوان المعطل كان في المتخلفين
فلقد تخلفَ باحثاً عن حاجيات ضائعين
فرأى سوادي من بعيد، جاء نحوي يستبين^(٣)
لما رأيته صار يذكر قولة^(٤) المسترجعين
قد قال: تلك ظعينة الهادي وخير المرسلين
فوراً أناخ بغيره، فأتيتُه^(٥) كالخائفين
فعلوتُ ظهرَ بغيره، وشعرت بالأمن الأمين
قَادَ البعير وقد وصلنا للمدينة مصبحين
فتحدثوا بالإفك أهلُ الشر كانوا حاقدين

(١) نحو النازلين: مكان مبيت الجيش.

(٢) حيث كنا نائمين: في المكان الذي كانوا نازلين فيه.

(٣) يستبين: يستطلع.

(٤) قولة المسترجعين: هي (إنا لله وإنا إليه راجعون).

(٥) فأتيتُه كالخائفين: وهي مشية في حياء.

عائشة وحديث الإفك

مرضُ ألمَّ بأم عبد الله^(١) أم المؤمنين
والناس كانوا قد أفاضوا في الحديث^(٢) مرددين
قالوا: ويابئس المقال، مقال كل المفتريين
الإفكُ كان حديثُهُمْ، فتحدّثوا متناولين
في شأن عائشة الطهور وزوج ختم المرسلين
فلقد رمّوها بالزنا مع صاحب الهادي الأمين
ابن المعطل كان من خير الرجال المؤمنين
أختُ البراءة جاء دور حديثها للسامعين
قالت: لقد وصل الحديث إلى رسول العالمين
وكذا إلى أهلي وكانوا كلهم متكتمين^(٣)
لاحظتُ إعراضَ النبيّ بجفوة المتعمّدين
قد كان عند توعكي دوماً يجيء ليستبين^(٤)
ويكون منه تلطّف ودُعاة كالمازحين
لكنّه في هذه لم يُبدِ عطفاً للأئين^(٥)

(١) أم عبد الله: هي عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) قد أفاضوا في الحديث: حديث الإفك.

(٣) متكتمين: يكتمون عني الخبر.

(٤) ليستبين: يستفسر.

(٥) للأئين: للألم الذي أعانيه والأئين أيضاً.

فطلبتُ إذناً أن أُمَرِّضَ عند أُمِّي أَسْتَكِين
فأجَابَنِي فوراً وقال: إذا أردت لتذهبين
فمكثتُ ثمَّ ولم أكن أدري بقول الخائضين

عائشة تعرف بما يقال عنها

هذي البريئة لا نزال لقولها مُتَسَمِّعِينَ
قالت: ظلت مريضةً في بيت أهلي الصامتين
عشرون يوماً قد مضت في ذلك المرض اللعين
قد أخبرتني أمَّ مسطحٍ عن مقال الآفكين
الناسُ خاضوا في الحديث بأنني في المخطئين
فَصَعِقْتُ مما قد سمعتُ، وصرتُ أبكي في أنين
فسألتُ أُمِّي، كيف هذا؟! كنتِ عَنِّي تَكْتُمِينَ؟!
قالت: بنيةٌ فاصبري، لا تعجبي للقائلين
كلُّ النساءِ من الحسانِ يَنَلْنَ سَهْمَ الحاقدين
لاسيما من هنَّ مثلكِ في ضرائرٍ أكثرين
خطبَ النبيُّ الناسَ قالَ وكلُّهم في السامعين:
ما بالُ أقوامٍ أصابوا أهل بيتي قاذفين
ولقد رَمَوْا^(١) رجلاً عفيفاً من خيار المسلمين
عُرفَ الذين تَقَوَّلُوا لتلك المقالةِ عامدين

(١) رموا: - اتهموا.

رأسُ النفاق هو الذي قد كان رأسَ المفترين
مع بنتِ جحشٍ^(١) ثم مسطحَ بعده كمرّدين
حسانُ أيضاً كان معهم ردّدَ القولَ المُشينَ

رسول الله يستشير أصحابه

المصطفى نادى علياً مع أسامة^(٢) للسؤال
ناداهما كي يصدّقاه على السؤالِ بلا جدالٍ
كان السؤالُ عن البريئة عن سلوكِ الإنحلال^(٣)
فوراً أسامةٌ قد أجابَ وقال قولاً باعتدالٍ
أثنى على زوجِ الرسولِ، فكان من خير الرجال
لكن علياً قد أجابَ بكل حرص ثم قال:
يا خيرَ خلقِ الله لا تحزنْ ولا تحش المقال
إنّ النساءَ بكثرةٍ من خيرِ ربّات^(٤) الحِجالِ
وأسألَ بريرةَ ربّما قالتْ بصدقٍ وامثال
سألَ الرسولُ بريرةَ^(٥) عن علمها فيما يقال!
قالتْ: فعائشةٌ طهورٌ فوق كل الاحتمال
إني لأعلمُ أنها لم تقترفِ سوءَ^(٦) الخصالِ

(١) بنت جحش: هي حمنة بنت جحش.

(٢) أسامة: هو أسامة بن زيد.

(٣) عن سلوك الإنحلال: الانحلال الخلقي.

(٤) ربّات الحِجال: النساء الجميلات المكنونات المصونات.

(٥) وأسأل بريرة: بريرة هي خادمة عائشة وجاريته.

(٦) سوء الخصال: كناية عن فعل الفاحشة.

رسول الله يسأل عائشة

في منزل الصديق جاء المصطفى كالزائر
 بدأ الحديث إلى البريئة فهي أم المؤمنين
 عن قصة الإفك التي ملأت سماع المسلمين
 يا عائش فاستغفري إن كنت ضمن المذنبين
 عودي لربك بل وكوني في عداد التائبين
 الله يقبل كل عبد عاد للركن الحصين
 لكنها لا لم تجبه، فسؤله زاد الأنين
 قالت: ظننت أبي وأمي قد يجيبان الأمين
 لكنني فوجئت أنهما استمرا صامتين
 فأسفت حتى قد ظننتهما من المتشككين
 فبكيت حتى جف دمي لم أجد لي من معين
 فهتفت، كلا، لن أتوب، فذلكم إفك مبين
 الله يعلم طهر ثوبي من كلام المفترين
 ولسوف أصبر للبلاء، وبالإله سأستعين
 حتى تجيء براءتي من عند رب العالمين

براءة عائشة وخذ القاذفين

في منزل الصديق جاء الوحي للهادي الأمين
 قد كان هذا بعد أسئلة لأم المؤمنين

قد صار يسألها ولكن لم تجبه ليستبين
الوحي كان هو الجواب ليخرس المتخرصين^(١)
الوحي يفصم^(٢) عن رسول الله كانوا جالسين
البشرُ يملأ وجهه، بشراك بنت الأكرمين
ببراءة متلوّة في محكم الذكر المبين
في سورة النور التي فضحت جميع الخائنين
قد برئت أخت العفاف وخاب ظنّ الفاسقين
قالت: وكنت أظنّ أنّي دون ذلك^(٣) عن يقين
فحمدت ربّي إنّهُ المحمودُ دون العالمين
خطب النبيّ الناس أخبرهم بأمر الكاذبين
جيئوا ثلاثتهم وقد جلدوا أمام المسلمين
حسان كان ومسطح مع بنت جحش الشائعين^(٤)
لكن عدوّ الله لم يُجلد كباقي القاذفين
لم يشهد الشهداء عن قول له في القائلين

نزول سورة (النور) بالأحكام

قد أخبر القرآن عن أحوال بعض المسلمين
في سورة النور التي فيها حدود المجرمين

(١) المتخرصين: الكاذبين.

(٢) يفصم عن رسول الله: يترك رسول الله.

(٣) دون ذلك: أرى نفسي أقل من أن ينزل الله في قرآنا.

(٤) الشائعين: الذين أشاعوا ورددوا الخبر الكاذب.

عن قصة الإفك التي صارت حديث الهامسين
المؤمنون تنزهوا عن أن يجاروا الخائضين
منهم أبو أيوب^(١) كان وزوجهُ متحفّظين
قالوا: فإنّا لا نظنُّ السوء مثل الآخرين
هذي المقالة إنّها جُرمٌ عظيمٌ عن يقين
قد كان مسطحٌ من أبي بكر له رَحِمٌ متين
الجلدُ كان جزاءهُ، إذ كان بين الشائعين
قد أقسمَ الصديقُ لا يُعطيه مثل الأقربين
لكن إله العرشِ قالَ وقولُهُ حقٌّ مُبين
لا تمنعوا أموالكم فقراءكم كالناقمين
المالُ قد أُعطيتموه لكي تكونوا محسنين
فلتصفحوا عمّن أساء وتغفروا للمخطئين
فلتغفروا إن شئتم الغفرانَ من فعل مشين
فوراً أبو بكر أبي الإصرار في ذاك اليمين^(٢)
بل قال: إنّني أرتجي غفران رب العالمين^(٣)

* * *

(١) أبو أيوب - هو خالد بن زيد الأنصاري .

(٢) في ذاك اليمين - أي تراجع عن قسمه بحرمان مسطح لكونه أساء لعائشة .

(٣) تغريدة السيرة النبوية (٢٤٨/٣) .

القصيدة الرابعة عشر: رسالة إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
لعبد الرحمن العشماوي

الشاعر عبد الرحمن العشماوي

(١٣٧٦؟ - هـ / ١٩٥٦ - م)

ترجمته:

الدكتور عبد الرحمن صالح العشماوي، ولد في قرية عراء منطقة الباحة - المملكة العربية السعودية.

وبعد أن أنهى دراسته الثانوية التحق بكلية اللغة العربية، جامعة الإمام، وتخرج فيها ١٣٩٧ هـ، ثم نال درجة الماجستير ١٤٠٣ هـ، والدكتوراه ١٤٠٩ هـ.

تدرج في وظائف التدريس بالجامعة حتى أصبح أستاذاً مساعداً للنقد الحديث في كلية اللغة العربية - جامعة الإمام، له مشاركات في الأمسيات الشعرية والندوات الأدبية، كما أن له حضوره الإعلامي من خلال برامجه الإذاعية والتلفازية، وقصائده ومقالاته التي تنشر في الصحافة.

من دواوينه الشعرية: «إلى أمتي» ط ١٤٠٠ هـ و«صراع مع النفس» ط ١٤٠٢ هـ و«قصائد إلى لبنان» ط ١٤٠٢ هـ و«بائعة الريحان» ط ١٤٠٥ هـ و«مأساة التاريخ» ط ١٤٠٥ هـ و«نقوش على واجهة القرن الخامس عشر» ط ١٤٠٩ هـ و«إلى حواء» ط ١٤٠٨ هـ و«شموخ في زمن الانكسار» ط ١٤١٠ هـ و«ويا أمة الإسلام»

ط١٤١٢ و«مشاهد من يوم القيامة» ط١٤١٢ و«ورقة من مذكرات مدمن تائب» ط١٤١٢ و«من القدس إلى سرايفو» ط١٤١٣ و«عندما تشرق الشمس» ط١٤١٣هـ.

ومن مؤلفاته: «الاتجاه الإسلامي في آثار علي أحمد باكثير» و«من ذاكرة التاريخ الإسلامي» و«بلادنا والتميز» و«إسلامية الأدب»، كتب عنه: أحمد عبد اللطيف الجدد، وحسني أدهم^(١).

تفاعل الشاعر من خلال إنتاجه الأدبي مع قضايا الأمة حتى غدا شعره مرآة عاكسة لمآسي الأمة الإسلامية وآمالها وتطلعاتها.

ومن ذلك قوله عن شموخ أطفال الحجارة:

أنا من ربوع القدس طفل فارس أنا مؤمن بمبادئ أنا مسلم
لغة البطولة من خصائص أمتي عنا رواها الآخرون وترجموا
وأذكر أن له بيتاً لا يزايل خيالي تجمعت فيه الشاعرية، عبّر فيه عن إيمان
المسلم بالمستقبل المضيء المرتقب وهو في قصيدته التي مطلعها:

هتفت بك الأشواق ياباغيتها أخفيتها دهرًا فهل تبديها
والبيت هو:

ثَقُلْتُ خُطَا لَيْلِي وَطَرْفِي سَاهِرٌ وَالشَّمْسُ غَائِبَةٌ فَمَنْ يُبْدِيهَا
ولاميته الرائعة التي تحدث فيها عن مشاهد يوم القيامة وقد استوحاها من
ثقافته الإسلامية الأصيلة ومنها:

(١) معجم الشعراء (١١٣/٣).

وأجلتُ طرفي ساعةً فرأيتُ من أمر القيامة ما يروغ ويذهلُ
 هذا أبٌ يسعى إليه وحيدُهُ وبمقلتيه ترقُب وتوسلُ
 أبتاه أثقلني المسير وحاجتي شيء يسير لا يُمض ويثقل
 شيء من الحسنات ينقذني وقد خفت موازيني وفيك أومل
 فازور وجه أبيه عنه مردداً نفسي أحق بما تقول وأمثلُ

وقصيدته الأولى جاءت في آخر كتابه (صاحبة الحرير الأخضر) وهو كتاب في سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع تفصيل في جوانب شخصيتها العلمية والأدبية، والقصيدة لم تتحدث أو حتى تشير إلى حديث الإفك، إلا أن الشاعر قد استوحى من سمو أخلاقها وعفتها وعلمها وأدبها ما يؤهلها لمناجاة الشاعر وبثه، فجاءت القصيدة حوارية رائعة مزج فيها الشاعر ببراعة ما بين معاني شخصية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع واقع الأمة ليخلص من خلال هذا المزج إلى تطلعات المسلم وسبل الخلاص من وهدة الواقع الأليم.

وأما قصيدته الثانية فقد جاءت تفاعلاً مع أحداث الإساءة إلى أمنا عائشة رضي الله عنها، لذا فهي ألصق بموضوع الكتاب.

* * *

قصيدة/ رسالة إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

للشاعر / د. عبد الرحمن العشماوي

أُمَاهُ أُمَاهُ دَمْعُ الْعَيْنِ سِيَالُ
أُمَاهُ أُمَاهُ مَا زَالَتْ تَوْرُقُنِي
قصائدي لم تزل تجري على نسقِ
وفاء من في حنايا قلبه أملُ
بيني وبينك آكامٌ وأوديةٌ
وبيننا جسرٌ إيمانٍ عبرتُ به
أتيتُ أقرأ أمجادِي، أُعبِّرُ عن
أتيتُ أحملُ مأساتي على كتفي
أُمَاهُ أُمَاهُ أَخْبَارِي مَنْوَعَةٌ
في عصرنا، لجة الأحداث مائجَةٌ
وأمةُ الحقِّ في أوطانها اشتعلت
أيا حليلةَ خيرِ الناسِ، أمتنا
تمشي وفي يدها البيضاء أسورةٌ
تبرَّجتُ أمتي للعابثين بها
لو أنها احتشمت ما ذابَ في فمها
وخاطري في دروب الحزن رَحَالُ
همومٌ عصري ففي الأعماق زلزالُ
من الوفاء لأسلافي وما نالوا
عذبٌ وفي نفسه للحق إجلالُ
من الدهور، وآثارٌ وأطلالُ
وفي الطريق مفازاتٌ وأهوالُ
نفسِي، ولي في بلوغ القصد آمالُ
وفي يدي قلمٌ بالحب سيالُ
وللحكايات عند الناس أشكالُ
وما لنا زورقٌ في البحر جَوَالُ
نارُ الخلاف، وأهل الباطل احتالوا
تمشي وفي صدرها المكشوف سلسالُ
تمشي وفي رجلها البيضاء خلخالُ
وغرَّها من فم التَّينِ مَوَالُ
صوتُ الإباء، ولا أعداؤها صالوا

الظالمون قصار في حقيقتهم
إذا تخلّى كريم عن مبادئه
أماه أماه ضاع العدل في زمن
أيا حليمة خير الناس، إنّ بنا
تشكو موائدنا أصناف ما حملت
أماه أماه، لو أبصرت من نفخوا
ومن أراقوا دماء الأبرياء بلا
ولو رأيت طواويس الرجال وقد
ولو رأيت رجال العلم كيف غدوا
ولو رأيت نساء المسلمين وقد
إذن، لعانيت يا أمّاه من ألم
أماه، قولي لمن باعت كرامتها
قولي لمن جعلت أزياءها هدفاً
أهكذا تركبين الموج حائرة
تنسين أنّك للأجيال مدرسة
أيا حليمة خير الناس أمّتنا
لها سيوف من الأبواق قاطعة
لها شعوب تسرّ العين كثرتها
لها رجال لهم في القول ألسنة

لكنهم بتغاضي أمّتي طالوا
فسوف يرتع في الأوطان أنذال
أدنى وسائله قيداً وأغلال
داء السكوت على ما تقتضي الحال
من الطعام ويشكو لهونا المال
أبواقهم، في خداع الناس واحتالوا
ذنب فكم قتلوا بالظن واغتالوا
شدوا مآزرهم بالوهم واختالوا
لما سقّتهم شراب الغفلة الدال
بدا لهنّ على الأوهام إقبال
وكان للدمع في عينيك شلال
وصدّها عن دروب الخير طبّال
ومن دعاها إلى التحرير دجال
ويستبيحك بالأهوال أنذال
وكم تعزّ بعزّ الأم أجيال
لها جواد من الإعلام سهال
لها دروع وأبواب وأقفال
في كلّ قطر من السكّان أرتال
مهدارة، ولهم في البنك أموال

سلاحُهم في لقاء الخصم ممتَهَنٌ
 باعُوا فما ربُّحُوا، قالوا فما صدَّقُوا
 أمَاه أمَاه أشجانا ذوو نسبٍ
 قلنا لهم خطرٌ يا قومٌ يدهمُكم
 ولن تروا من يكيل الظلمَ في زمنٍ
 قالوا: رويداً فإن الوعي ينقُصُكم
 من أعلن الحقَّ - يا أمَاه - مُتهمٌ
 أيا حليمة خير الناس، قافيتي
 أرسلتها وبنو قومي على جُرفٍ
 أمَاه قولي لنا، ماذا نقدّم في
 تاهت مراكبنا والموج ملتبمٌ
 هنا رأيتُ خيوطَ النور، أسعدني
 تحدّث الفجرُ، أنهار الضياء جرتُ
 يا أيها المشتكي، عيناك منطقةٌ
 لا تنس أن خطا هذا الوجود، لها
 نريدُ شيئاً، وننسى أن خالقنا

لكنّه في لقاء الأهل قتالٌ
 وفوق هذين إخضاعٌ وإذلالٌ
 فينا ولكنهم عن ديننا مالوا
 فالسيفُ منصلتٌ، والسهمُ نبالٌ
 إلا بما كاله للناس يكتالٌ
 القول ما قال «جوزيف» و«ميشال»
 في عصرنا ودعاة الزيف أبطالٌ
 يتيمةٌ ما لها عمٌ ولا خالٌ
 من الخلافات ما زالت وما زالوا
 عصرٍ أحاط به ضعفٌ وإخلالٌ
 وفي الشواطئ - يا أمَاه - أدغالٌ
 نسيجُها، ولثوب الفجرِ إسبالٌ
 وللشعاع حكاياتٌ وأمثالٌ
 للحزن فيها مسافاتٌ وأطوالٌ
 في علم خالقِ هذا الكونِ آجالٌ
 لما يريد بهذا الكون فعّالٌ

الرياض - الأزهار - ١٤١١هـ^(١)

(١) صاحبة الحرير الأخضر ص (٢٣٧).

القصيدة الخامسة عشر

أمام حجرة عائشة رضي الله عنها

للشاعر / د. عبد الرحمن العشماوي

حَصَانٌ - أيها الأعمى - رَزَانُ
رآها المجدُّ أوَّلَ ما رآها
ترى فيها البراءةُ مبتغاها
لها في قلبٍ خيرِ الناسِ حُبُّ
سرى في الأفقِ منه شذاهُ حتَّى
حبيبةُ قلبه روحاً وعقلاً
لقد شهدت بحبِّهما البرايا
حبيبةُ سيِّدِ الأبرارِ أهْدَى
وأمُّ المؤمنين بأمرِ ربِّي
لها من طيبِ محتدِّها شموخُ
لقد أعلى رسولُ الله قدراً
وعن جبريلَ أقرأها سلاماً
سلامٌ من ملائكةِ كِرامِ
ولا عاش الذينَ لهم قلوبُ
وما كلُّ الرجالِ لهم عقولُ
يُشيرُ إلى فضائلها البَنانُ
مُبجَّلةً لها في الخيرِ شَانُ
ويعجبُ من بلاغتها البيانُ
تضلَّع من منابعه الجَنانُ
تعطَّرتِ الغمامُ والعنانُ
أحاطَ بها من الهادي الحَنانُ
وطارَ بذكره الحَسَنُ الزمانُ
إليها الحبُّ فارتفعَ المكانُ
وتلكُ أمومةٌ فينا تُصانُ
به تأريخُ أمتنا يُزانُ
لعائشَ، فاستقرَّ لها الكيانُ
فقلْ لي: كيفَ ينفلت العنانُ؟!
فلا عاشَ المُكابِرُ والجَبانُ
لها بمَظاهرِ الكفرِ افتتانُ
بها في كلِّ خطبٍ يُستعانُ

وَمَنْ هُوَ فِي الْخَدِيعَةِ ثَعْلَبَانُ
 بِهِ مِنْ سُوءِ نِيَّتِهِ احْتِقَانُ
 يَثُورُ بِهِ مِنَ الْحَقْدِ الدُّخَانُ
 وَنَالُوا مِنْ حَبِيبَتِهِ، وَخَانُوا
 وَفِي تَكْرِيمِهَا كُسِبَ الرَّهَانُ؟
 وَعِنْدَ اللَّهِ قَدْ عُقِدَ الْقِرَانُ؟
 وَيَبْقَى مَنْ رَمَاهَا لَا يُدَانُ؟!
 عَلَيْهِ مِنَ الْخَنَا وَالْإِثْمِ رَأْنُ
 تَمَادَوْا فِي الْغَوَايَةِ وَاسْتَهَانُوا
 تَنْزَلَ فِي اللَّحَافِ لَوْ اسْتَبَانُوا؟
 عَلَيْهِ مِنَ الْمَهَابَةِ طَيْلَسَانُ
 وَإِحْسَانُ وَعَدْلُ وَاتِّزَانُ
 بِهِ النَّاسُ اسْتِضَاؤُوا حَيْثُ كَانُوا
 وَفِي جَنْبَاتِكَ ارْتَفَعَ الْأَذَانُ
 وَعَنْهَا صَدَّقَ الْخَبَرَ الْعِيَانُ
 وَزَوَاجَاتُ كَرِيمَاتٍ حِسَانُ
 لَهُنَّ الْقَدْرُ وَالْحَقُّ الْمِصَانُ
 عَظِيمٌ لَا تَطَاوَلَهُ الرَّعَانُ
 بِهِ الْإِيمَانُ يُشْرِقُ وَالْأَمَانُ

فَفِي النَّاسِ الْعَقَارُبُ وَالْأَفَاعِي
 نَعُودُ بِرَبِّنَا مِنْ كُلِّ قَلْبٍ
 وَمِنْ بَعْضِ النُّفُوسِ . . . بِهَا لَهَيْبٌ
 لَقَدْ كَذَبُوا عَلَى خَيْرِ الْبَرَايَا
 وَمَاذَا يَنْقُمُ السُّفَهَاءُ مِنْهَا
 وَكَيْفَ يَصِحُّ فِيهَا قَوْلُ غَاوٍ
 أَتُرْمَى زَوْجَةُ الْهَادِي بِسُوءٍ
 بَغِيضٌ مَنْ يَسِيءُ لَهَا بَغِيضٌ
 إِذَا أَمِنَ الْغَوَاةُ عِقَابَ ذَنْبٍ
 أَمَا يَكْفِي ابْنَةَ الصَّدِيقِ وَحْيٍ
 أَيَا بَيْتَ النُّبُوَّةِ، أَنْتَ رَمَزُ
 وَفِيكَ مِنَ الثَّقَى نُورٌ مُبِينٌ
 وَفِيكَ الْحُبُّ فَجَرٌّ مِنْ حَنَانٍ
 وَفِيكَ تَدَفَّقَ الْقِرَانُ نَهْرًا
 وَفِيكَ وَشَائِجُ الْقُرْبَى تَسَامَتْ
 سَمَا بِمَقَامِكَ الْعَالِي رَسُولُ
 لِعَائِشَ فَيْكَ مَنْزِلَةٌ، وَلَكِنْ
 أَيَا بَيْتَ النُّبُوَّةِ، أَنْتَ صَرَحٌ
 بَرِغَمِ الْحَاقِدِينَ تَظَلُّ رَمَزًا

القصيدة السادسة عشر

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حبيبة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

للدكتور ناصر الزهراني

الشاعر ناصر بن مسفر القرشي الزهراني حسيني يعود نسبه إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، ولد في عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م بمنطقة الباحة في جنوب المملكة العربية السعودية .

ترجمته:

درج في مراحل التعليم حتى حصل على شهادة الدكتوراه في دراسة وجه الشبه في تشبيهات القرآن الكريم عام ١٩٩٨م .

ورغم أن الشاعر له ولع بالأدب والبلاغة إلا أن جل اهتمامه وكتاباته كانت في العلوم الإسلامية والدعوية، أسندت إليه مهمة الإشراف الكامل على جامع ابن باز رحمه الله في مكة المكرمة، كما عين فيه إماماً وخطيباً.

له عدد من القصائد ذاع صيتها منها قصيدته «رحلة في موكب الجلال» منها قوله:

أَيُّ شَيْءٍ يَقُولُهُ الشَّعْرُ لِمَا يَتَفَنَّى بِخَالِقِ الْكَائِنَاتِ
مَا نَسَجْنَاهُ مِنْ بَيَانٍ بَدِيعٍ لَيْسَ إِلَّا خَوَاطِرًا قَاصِرَاتِ

لَهُ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ :

اللَّهُ أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ .

قصائد ضاحكة .

عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حبيبة المصطفى ﷺ

للدكتور ناصر الزهراني

تمايلي يا حروف الشعر من طرب
وسافري في دروب المجد واتقدي
وأشرعي سفن الإجلال عاطرة
وحلّقي في سماء الطهر إنّ لنا
لدوحة البرّة الحسناء وجهتنا
لا يُذكر الطهر إلا قيل عائشة
نجلّها نُطرب الدنيا بروعتها
نُرتّل الوحي صَفْواً عن طهارتها
تَدَنَسَتْ أنفُسُ بالفحش وانغمست
حبائلُ الإفك والبهتان أبطلها الب
كانوا يريدون للبنيان خلخلة
فازداد صفّ الهدى نوراً وتبصرة
وأسعد الوحي أرواحاً مُوحّدة
منهاج ملّتنا الغراء حذر من
يسمو عن الزور والبهتان يأنف من

ولتعزفي من لحن الأنس أزكاها
فخراً لروعة ألفاظ ومعناها
باسم المهيمن مجراها ومرساها
فيه أحاديث كم نهفو لبشرها
لنتقي من سمات المجد أسماها
رمز له وهو نور في محياها
إذا انبرى بكلام السوء أشقاها
ولا نبالي بصوت خاسي تها
في وحله وظلام الفكر أعمها
اري ووجه الدنيا والردى شاها
وللنبوة طعناً في حناياها
ونال أهل النبي العزّ والجهاها
وأخرس الحق أصواتاً وأفواها
بذاعة القول أيّاً كان مرماها
سفاسف القول والفحشاء يأباها

ما مِنْ فؤادٍ نقيٍّ طاهرٍ عَطِرٍ
 فكيف بالنيلِ من عرضِ النَّبيِّ وَمِنْ
 عقيدةِ المكرِ والأحقادِ منشؤها
 أَعْيَاهُمْ النيلُ من ذاتِ النبيِّ فهلُ
 هي الوقيعَةُ في أركانِ دولتهِ
 ماذا سَيُرفعُ من بنيانِ ملتهِ
 لا عِرْضُهُ طاهرٌ لا صَحْبُهُ صُدُقُ
 وصَيَّرُوا حَبَّ آلِ البيتِ أُلويةً
 مهما تَبَجَّحَ بالأشواقِ ظاهرُها
 لا بَارَكَ اللَّهُ في حَبِّ دعائِمُهُ
 طَعْنٌ لِأَشْرَفِ إنسانٍ بعصمتهِ
 يا خَيبةَ المُهْجِ السوداءِ إِذْ نَضَحَتْ
 دسائِسُ تاهَ في أَذْغالِها أُمَمٌ
 هذا نِداءٌ مِنْ الأعماقِ أَبْعَثْهُ
 فَلْيَتَّقِ اللَّهَ في صَحْبِ النبيِّ وَفي
 بَائِيٍّ وَجْهِ سَيَلْقَى المصطفى بَشَرٌ
 بِأَيِّ لَفْظٍ يُناجيه وَفِرْيَتُهُ
 وَكَيْفَ يَطْمَعُ قَلْبٌ في شفاعتهِ
 أنا الحُسَيْنِيُّ لَكِنْ لَيْسَ مِنْ مثلي

بفاحشِ القولِ في أَيِّ امرئٍ فاهَا
 أَبَرُّ من تعرفُ الدنيا وأتقاها
 في الأصلِ يُنبئُ عن فحوى خفاياها
 من حيلةٍ تَنْطَلِي فيها نواياها
 وفي أَبَرِّ الورى نصحاً وأصفاها
 إِنَّ حَطَمُوا مَنْ تَبَنَّاها وَأَعْلَاهَا
 فما النبوةُ ماذا كان معناها
 بَرَاقةٌ تَخْدَعُ الدهماءَ دعواها
 سُمُّ الضغائنِ يَسْري في ثناياها
 سَبٌّ وفُحْشٌ وتخوينٌ لقرباها
 حاشاهُ والمِلَّةُ السَّمحاءُ حاشاها
 سوءاً فَأَبْطَلَهُ المولى وَأَخْزَاهَا
 لَمْ يَعْقِلُوا سِرَّ مَبْنَاهَا وَمَغْزَاهَا
 لِكُلِّ قَلْبٍ زَكِيٍّ وَحَدَّ اللَّهُ
 أَزْوَاجَهُ وَحُقُوقَ الآلِ يَرعاها
 آذَاهُ في زَوْجِهِ زوراً وآذاها
 في وَجْهِهِ بَيِّنٌ خُذْلانٌ عَقباها
 وَأَعْظَمُ الناسِ قُرباً مِنْهُ يَشْنَاهَا
 هَذي الخلائِقُ كَلَّا لَسْتُ أَرْضاها

ذَرَعاً وَنَحْوَ دُرُوبِ الطُّهْرِ مَمْشَاهَا
 فِي الْعَفْوِ وَالْحَبِّ وَالْأَخْلَاقِ أَقْصَاهَا
 لِلْسُّوءِ كَيْفَ وَخَيْرُ النَّاسِ رَبَّاهَا
 لِشَأْنِهَا وَبِأَزْكَى الْوَصْفِ نَادَاهَا
 مَكَانَهَا وَتَوَلَّاهَا وَصَافَاهَا
 وَلَا حُسَيْنٌ وَلَا الزَّهْرَاءُ تَرْضَاهَا
 مُبْرَأَتَيْنِ عَنِ الْإِسْفَافِ أَنْزَاهَا
 فَكُونُوا بِآلِ الْبَيْتِ أَشْبَاهَا
 مُنَزَّهَهُ هُمْ عَلَى الدُّنْيَا خُزَامَاهَا
 لَا يَلْتَقِي الطُّهْرُ وَالتَّقْوَى وَإِيَّاهَا
 تَقَحَّمَتُهُ نَفُوسٌ خَابَ مَسْعَاهَا
 مِنْ السَّجَايَا جَلَالُ الْحَقِّ يَغْشَاهَا
 مِنْ خَلْقِهِ زَوْجَةٌ لِلْسُّوءِ مَمْشَاهَا
 أَعْتَابِهِ تَعَشَّقُ الْأَرْوَاحُ مَسْرَاهَا
 مِنْ أُمَّةِ الْحَقِّ أَخْرَاهَا وَأَوْلَاهَا
 مِنْ مُشَبَّهِ فِي الصَّبَايَا فِي مَرَايَاهَا
 أَعَزَّهَا عِنْدَهُ شَأْنًا وَأَحْظَاهَا
 لِحَافِهَا فَأَنَارَ الْوَحْيِ مَأْوَاهَا
 فِي بَادِي الْأَمْرِ ثُمَّ اللَّهُ أَمْضَاهَا

كَانَتْ مَكَارِمُ آبَائِي تَضِيقُ بِهَا
 فَآلُ بَيْتِ النَّبِيِّ الْغُرِّ قَدْ بَلَّغُوا
 لَمْ يَحْفَظِ الدَّهْرُ عَنْ أَخْيَارِهِمْ لَغَةً
 هَذَا الْإِمَامُ عَلِيٌّ كَانَ مُحْتَرَمًا
 لِأَنَّهُ الْمُؤْمِنُ الْبَرُّ التَّقِيُّ رَعَى
 وَمَا مَشَى نَحْوَ أَسْوَاقِ الرَّدَى حَسَنٌ
 يَا شِيعَةَ الْآلِ كُونُوا سَادَةً نُجَبَا
 يَا مَنْ تُحِبُّونَ آلَ الْبَيْتِ مَبْدُوكُمْ سَامٌ
 هُمْ رَحْمَةٌ هُمْ ضِيَاءٌ هُمْ شَذَى حَسَبِ
 الْحَقْدِ وَالْفَحْشِ وَالْبَهْتَانِ أَوْبَةً
 يَا أُمَّ كُلِّ تَقِيٍّ لَنْ يَضِيرَكَ مَا
 يَا عَائِشَ الطُّهْرِ وَالْإِيمَانِ يَا مَدَدًا
 تَقْدَسَ اللَّهُ أَنْ يَرْضَى لَصَفْوَتِهِ
 بَلْ وَارْتَضَى بَيْتَهَا قَبْرًا لَهُ فَإِلَى
 هُنَاكَ ذَابَتْ مِنَ الْأَشْوَاقِ أَفْئِدَةٌ
 صِدِّيقَةٌ وَابْنَةُ الصَّدِّيقِ لَيْسَ لَهَا
 جَبْرِيلُ أَقْرَأُهَا مِنْهُ السَّلَامَ وَمَا
 كَمْ مَرَّهْ جَاءَ وَالْمُخْتَارُ مُلْتَحِفًا
 وَقَدْ رَأَى الْمُصْطَفَى رُؤْيَا مُبَشِّرَةً

أَتَى بِصَوْرَتِهَا جَبْرِيلُ بَاهِرَةً
لَمْ يَخْتَرْ اللَّهُ إِلَّا مَنْ لَهَا خُلُقٌ
فَأَشْرَفَ النَّاسَ لَنْ يَرْضَى إِلَهُ لَهُ
حَلِيلَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ مُؤْمِنَةٌ
زَكِيَّةُ الرُّوحِ عُنْوَانُ لِسَلَوْتِهِ
هِيَ الْأَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَبَاهِجِهِ
يُبْثُّهَا الْحُبُّ عَذْبًا وَهِيَ مُفْعَمَةٌ
يَتَوَقُّ لِلْكَأْسِ صَفْوًا كُلَّمَا شَرِبَتْ
تُضْفِي عَلَى بَيْتِهَا أَنْسًا تُزِينُهُ
تَضْمَخُ الْمُصْطَفَى طَيْبًا تُرَجِّلُهُ
أَدِيبَةُ ذَاتِ حِسٍّ مُرْهَفٍ وَلَهَا
يَا رَوْعَةَ الْمُصْطَفَى الْهَادِي يُتِيحُ لَهَا
وَحَيْنًا كَانَ مَسْرُورًا يُسَابِقُهَا
يَا سَعْدَهَا تَتَلَقَّى الْوَحْيَ مِنْ فَمِهِ
يَبْوَحُ لِلنَّاسِ عَمَّا كَانَ يَحْمِلُهُ
وَالنَّاسُ كَانَتْ تَحَرَّى يَوْمَ عَائِشَةَ
تَقَرُّبًا لِرَسُولِ اللَّهِ إِذْ عَلِمُوا
تُحِبُّهُ تَنْتَشِي شَوْقًا لِرُؤْيَيْهِ
تُضْفِي عَلَيْهِ سُرُورًا بِالرَّوَائِعِ مِنْ

فِي قِطْعَةٍ مِنْ حَرِيرٍ طَابَ مَرَاهَا
زَاكِ لَتَبْلُغَ فِي الْأَمْجَادِ أَعْلَاهَا
إِلَّا شَرِيفَةً أَصْلَ طَابَ فَرْعَاهَا
زَكِيَّةً بِسُلَافِ الْوَحْيِ غَذَّاهَا
كَمْ عَاشَ يَهْفُو لَهَا شَوْقًا وَيَهْوَاهَا
تَحْلُو اللَّيَالِي عَلَى أَنْغَامِ نَجْوَاهَا
شَوْقًا لِأَجْمَلِ أَلْفَاظٍ وَأَحْلَاهَا
مِنْهُ وَبِالْبِشْرِ تَلْقَاهُ وَيَلْقَاهَا
لِزَوْجِهَا تَنْثُرُ الْأَطْيَابَ يُمْنَاهَا
وَكَالْحَرِيرِ عَلَى خَدَّيْهِ كَفَّاهَا
مِنْ الْمَوَاهِبِ أَزْكَاهَا وَأَنْقَاهَا
وَقَتًا تَرَى مَشْهَدًا لِلَّهِوِ سَلَّاهَا
وَيَنْثُرُ الْأَنْسَ أَلْوَانًا لِمَرَاهَا
غَضًّا وَتَرْوِي مِنَ الْآيَاتِ أَطْرَاهَا
مِنْ حُبِّهَا وَفُنُونَ الْوُدِّ أَبْدَاهَا
حَتَّى تَفِيضَ الْأَيْدِي مِنْ هَدَايَاهَا
بِأَنَّ فِي قَلْبِهِ الْمَعْصُومَ مَأْوَاهَا
وَكُلَّمَا غَابَ تَأْبَى النَّوْمَ عَيْنَاهَا
حَدِيثُهَا وَالْهَوَى يَزْكُو بِرُؤْيَاهَا

كَمِ مِنْ لَيَالٍ قَضَاهَا فِي مُسَامَرَةٍ
 هُوَ الَّذِي اخْتَارَ أَنْ يَلْقَى مَنِّيَّتَهُ
 ظَلَّتْ تُمَرِّضُهُ تَبْكِي تَوَجُّعَهُ
 تَبِيتُ تَقْضِي اللَّيَالِي وَهِيَ سَاهِرَةٌ عَلَيْهِ
 تَرَى أَعَزَّ حَبِيبٍ وَهُوَ مُزْتَجِلٌ عَنْهَا
 فَاضَتْ عَلَى صَدْرِهَا رُوحَ النَّبِيِّ فَمَا
 رُوحَانِ عَاشَا عَلَى الْإِخْلَاصِ وَافْتَرَقَا
 ظَلَّتْ عَلَى عَهْدِهَا فِي الْوُدِّ صَادِقَةً
 تُسْدي فَيُوضِ الْهُدَى وَالْعِلْمِ رَاوِيَةً
 كَأَنَّهَا الْوَاحَةُ الْغَنَاءُ يَانِعَةٌ
 كَأَنَّهَا أَنْهَرُ الزُّلَالِ فَمَا
 مَنْ زَيْنَ الْوَحْيِ إِلَّا حِفْظُ عَائِشَةَ
 مَنْ أَطْرَبَ الْكُونَ بِالْقَوْلِ الزُّلَالِ وَمَنْ
 مَنْ عَطَّرَ الْأَرْضَ بِالْفَقْهِ النَّقِيِّ وَمَنْ
 وَمَنْ إِذَا اسْتَشْكَلَ الْأَصْحَابُ مَسْأَلَةً
 مَنْ عَلَّمَ الْمَرْأَةَ السَّمْتَ الْجَمِيلَ وَمَا
 مَنْ كَانَ فِي الْجُودِ نَبْعًا سَائِغًا غَدَقًا
 مَا أَصْبَحَتْ صُرُرُ الْأَمْوَالِ فِي يَدِهَا
 اخْتَارَتْ اللَّهَ ثُمَّ الْمُصْطَفَى رَضِيَتْ

لَهَا وَعَطَّرَ بِالسُّلُوفِ دُنْيَاهَا
 فِي حَجْرِهَا وَارْتَضَى مَثْوَاهُ مَثْوَاهَا
 تَرْقِيهِ تَلْقَى مِنَ الْأَحْزَانِ أَفْسَاهَا
 يَشْكُو ضِرَامَ الدَّمْعِ خَدَاهَا
 فَسُبْحَانَ مَنْ بِالصَّبْرِ قَوَّاهَا
 أَجَلَهَا عِنْدَهُ قَدْرًا وَأَوَّلَاهَا
 عَلَى وَفَاءٍ وَفِي الْفِرْدَوْسِ لُقِيَاهَا
 زَكِيَّةَ بَرَّةٍ طَابَتْ سَجَايَاهَا
 عَنِ الَّذِي طَهَّرَ الدُّنْيَا وَزَكَّاهَا
 يَزِينُهَا مِنْ فُنُونِ الزَّهْرِ أَرْزَاهَا
 تَمَلُّ أَرْوَاحُ أَهْلِ الذَّوْقِ سُقْيَاهَا
 وَأَيْنَ سُنَّةَ خَيْرِ الْخَلْقِ لَوْلَاهَا؟
 جَلَّى بِالسَّنَةِ الْحُسْنَى خَفَايَاهَا؟
 أَبَانَ أَسْرَارَهُ الْكُبْرَى وَجَلَّاهَا؟
 لَمْ يَسْكُنِ الْفِكْرُ إِلَّا عِنْدَ فِتْوَاهَا؟
 يَسْمُو بِهَا لِسْمَاءِ الطُّهْرِ إِلَّاهَا؟
 هَفَّتْ لَهُ الْمَهْجُ الْعَطْشَى فَأَرْوَاهَا؟
 إِلَّا وَقَدْ أَنْفَقَتْهَا قَبْلَ مَمْسَاهَا
 عَيْشًا زَهِيدًا وَصِدْقُ الْوُدِّ أَغْنَاهَا

مَنْ سَطَرَ الْمَدْحَ فِي آلِ النَّبِيِّ وَفِي
 وَفَضْلُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ كَمْ صَدَحَتْ
 عَفَافُهَا، سَمْتُهَا، مَا قَالَ وَالِدُهَا
 هَذِي هِيَ الْأُمُّ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا
 تَظَلُّ كَالْبَدْرِ إِشْرَاقًا وَمَنْزِلَةً
 عَلَامَةُ الدَّهْرِ بُسْتَانُ الْعُلُومِ وَمَا
 يَبْقَى شَذَى عِلْمِهَا الزَّاكِي وَعِفَّتُهَا
 مَضَتْ إِلَى اللَّهِ فِي أَثْوَابِ حِسْمَتِهَا
 حَبِيبَةُ الْمُصْطَفَى بُشْرَى لِمَنْ صَدَقُوا
 أَضْهَارِهِ مَا طَعَى حَرْفٌ وَلَا تَاهَا
 فِيهِ بِأَمْتَعِ أَلْفَاظٍ وَأَوْفَاهَا
 عَنْهَا، شَمَائِلُهَا الْكُبْرَى وَتَقْوَاهَا
 أَسَدَى لَهَا الْوَاحِدُ الْبَارِي وَأَتَاهَا
 يُهْدِي لَهَا مِنْ فُنُونِ الْقَوْلِ أَسْنَاهَا
 هَذَا سِوَى صَفْوِ شَهْدٍ مِنْ مَزَايَاهَا
 عِطْرًا يُجَدِّدُ فِي الْأَرْوَاحِ ذِكْرَاهَا
 وَالطُّهْرُ يَشْدُو لَهَا وَالْمَجْدُ يَنْعَاهَا
 فِي حُبِّهَا وَتَوَلَّوْا مَنْ تَوَلَّاهَا

القصيدة السابعة عشر

أم المؤمنين عائشة الصديقة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

للدكتور معتصم الحريري

ترجمته:

ولد عام ١٩٧٦م وتخرج من جامعة الزرقاء الأهلية في الأردن تخصص التحاليل الطبية عام ٢٠٠٠م يعيش حالياً في مدينة أبها بالمملكة العربية السعودية .

له ديوان واحد (أحزان الربيع) صدر عام ٢٠٠١م.

وله العديد من المشاركات في عدد من الصحف والمواقع في الشبكة والمهرجانات الإنشادية والأمسيات الشعرية.

قدم عدداً من القصائد المختلفة في ظروف وأحداث اجتاحت الأمة مثل: الانتفاضة الفلسطينية واستشهاد الشيخ أحمد ياسين.

كتب معظم قصائد شريط خير القرون الإنشادي الذي أصدرته مبرة الآل والأصحاب ثم أصدرته المبرة في كتيب مع شرح الأبيات الواردة فيه وقد احتوت أشعاره على مدح للنبي ﷺ وأعلام آل البيت والصحابة رضي الله عنهم جميعاً.

أم المؤمنين عائشة الصديقة

د . معتصم الحريري

وفي السماء علت طهراً وتنزيها	هي الحبيبة والمختار صاحبها
إلى الرسول من الرحمن يهديها	على الحرير أتى جبريل يحملها
والفقه إن فاض يجري في سواقيها	بحر من العلم لا تحصى شواطئه
من النساء وترقى في مراقبها	من مثل عائشة في الفضل يدركها
من فوق سبع وعادى من يعادها	بكر مطهرة - الله برأها
على فراش مع المختار يؤويها	والوحي ينزل بالآيات يقرؤها
واختارت الله والمبعوث هاديها	ما غرّها زخرف الدنيا وزينتها
وفي التيمم فضل اليسر يكفيها	والله للناس والإسلام بآركها
ونصف أخباره في الدين ترويه	حب الرسول قرين في محبتها
وآخر العهد في الدنيا مآقيها	ومات في حجرها والقبر حجرتها
بجنة الخلد من أزواجه فيها	طوبى لها زوجة الدارين مسكنها

القصيدة الثامنة عشر

مِبْرَأَةُ السَّمَاءِ

للشاعر/ عبده بن علي الفيضي

أَعْلَى عُرَى الْأَخْلَاقِ يَجْتَمِعَانِ
 شَتَّانَ بَيْنَ مَوْقَرٍ لِنَبِيهِ
 أُمَاهُ يَا حَبَّ النَّبِيِّ وَعَرْضُهُ
 لَمْ يَبْقَ مِنَّا مُؤْمِنٌ لَمْ يَصْطَلِ
 غَارَتْ عَلَى عِرْضِ النَّبِيِّ جِحَافٌ
 مَا صَامَ يَوْمَ الدَّفْعِ مِنَّا نَاطِقٌ
 قَدْ نَبْتَغِي مَوْتًا عَلَى كَفِّ الْعِدَا
 وَنُذِلُّ بِالْإِيثَارِ شَمَّ أَنْوَفِنَا
 عَرَبًا عَرَفْنَا الْحُكْمَ حِينَ شَفَى بَنَا أَلِ
 مَا اخْتَارَنَا الرَّحْمَنُ حَوْلَ رِحَابِهِ
 أُمَاهُ - وَالْعِبْرَاتُ كَالْجَمَرَاتِ - لَا
 لَا بِشَرِّ اللَّهِ الْحَسُودَ بِنِعْمَةٍ
 يَنْهَاهُ طَهْرُكَ وَالنَّبِيُّ وَاللَّهُ
 مَتَوَلِّيًا كِبَرَ الْكَذُوبِ فَوَيْحَهُ
 عَفَّ اللِّسَانِ وَبَاعَثَ الْبُهْتَانَ؟!
 فِي عَرْضِهِ وَالنَّاكِثِ الْخَوَانَ
 لَا ضِيْمَ طَرْفٍ مُعَذِّبِ الْأَجْفَانِ
 شَرْقُ الدُّنَى وَالْغَرْبُ يَنْتَفِضَانِ
 أَيْلُومُهُمْ إِلَّا ذَوُو الطُّغْيَانِ؟
 وَالنَّفْسُ يَقْتُلُهَا فَحِيحُ الْجَانِي
 عِرًّا وَلَكِنْ لَا نَنِي لِحَبَّانِ
 خَفَرًا لِدِمَّةٍ مُسْتَجِيرٍ وَإِنْ
 قَهَّارُ دَاءِ الْفُرسِ وَالرُّومَانِ
 لِنُقِيمَ أَجْدَاثًا عَلَى أَضْغَانِ
 سَلِمَتْ أَنْوَفٌ أَذْعَنْتْ لِهَوَانِ
 كَلَّا وَلَا رُدَّتْ إِلَيْهِ يَدَانِ
 وَالْوَحْيُ ثُمَّ يَثُوبُ لِلشَّيْطَانِ
 طَلَبَ الْجَنَانَ بِمَسْلِكِ النِّيرَانِ

يا حسرة الأفاك ما بعقاليه
 غطى بها عجز الحجي متعالماً
 أمأه يهنيك افتضاح عدونا
 الوالغون المقذعون هم الأذى
 أهنا بك الرحمن قلب «محمد»
 نور إلى طهر يحن وأئماً
 بك لا بأقوال الدعي تشرفت
 فضحت براءتك الشكوك فأذبرت
 وتهللت عيناك بشراً فالمنى
 فالصبح لا كالصبح عند حليّة
 والروضة الغناء ملء رحابها
 سل في المدينة كل بيت عنهما
 غرسا على وجه الزمان سروره
 فكأنما مر النسيم وطرقه
 في روضة الجنات نازعها البلا
 يبلى النبي وخيرة من بعده
 من نال حب الله - يوماً - يبتلى
 هيئات تبقى بعدنا الدنيا ولم
 شدت سوى خرق على هذيان
 فرعت غشاء الحقد والبطلان
 وكفاك نصراً محكم القرآن
 ولأنت - يا صديقة - الطهران
 تالله ما ضدان يأتلفان
 نبأ سري شرفت بك الأذنان
 عليك لا يتنازع القمران
 ظلماً وأنت منارة الإيمان
 لا تُنكرن وفودها عينان
 أطيأه والوحي يعتنقان
 ذكر يرفرف حوله ملكان
 هل بات مثل ودادهم زوجان؟
 يا سعده إذ خص من أزمان
 بالباب سجع الطير بالأفنان
 والمبتلى المشمول بالرضوان
 ويغر باقي الخلق بالإحسان
 وضعيف إيمان يرى الحدثن
 تأخذ نصيب الظفر والأسنان

فتميلُ ضراءُ البَلا وزناً ويا
 رُحماك - ربِّي - ما لنا إيمانُهُم
 أيقظُ خِفافَ العقلِ من سَكَراتِهِم
 ما كنتُ في صمتِ المُريبِ مُصَفِّداً
 مُذْ لامستُ قلبي الشفيفَ براءةً
 وتَضَعُضَعَتْ أوزانُ شعري بعدها
 ربَّاهُ إني قد برئتُ فبرئتُ
 وارفَعُ بيارقنا على من أرجفوا
 لولا «أبا حسنٍ» توارى نالهم
 قد كان نِعَمَ الهدي حين دَعاهُم
 ونَمَوا إليه الزورَ ما شَبَعَتْ لهم
 قالوا: «عليٌّ» قلتُ: حاشا إنَّما
 قالوا: و«فاطمةٌ» فقلتُ: أجيرُها
 بنتُ الرسولِ وبضعةٌ من رُوحِهِ
 أجعلتموها سُبَّةً لخيارِكُم؟
 لا والذي جَعَلَ السيادةَ فيهِم
 عودُوا إلى أخلاقِ «أهلِ البيتِ» لَنُ
 واسترشدوا الأشياخَ من عُقلائِكُم
 أسفاً على السراءِ في الميزانِ
 كَلَّا ولا نَقْوَى على الأُحْزانِ
 واغفِرْ عَظِيمَ الذنبِ والهَجْرانِ
 كَلَّا ولا سَارَعْتُ في بُهتانِ
 تُتلى بِأَيِّ «الثورِ» عِبتُ بياني
 فبأيِّ تبيانٍ يفيضُ لساني
 قَلَمِي مِنْ عِيٍّ وَمِنْ إِذْعانِ
 ما أَقْبَحَ اسْتِنْسارَةَ البُغْثانِ
 من سيفهِ البتارِ حَرْبُ الجاني
 فشرُوا أذاهُ بأبخسِ الأثمانِ
 بِطَنُ ولا أرواهُم النهرانِ
 طَهَّرْ نما من طُهرِهِ «الحسانِ»
 أترونها لهجَتُ بفُحشِ لسانِ؟!
 وفؤادُها مِنْ سورةِ «الفرقانِ»
 تالَّه ما بخيارِكُم من شاني
 ما السادةُ الأحبابُ بالُلُعانِ
 تجدوا سِوى التوقيرِ والإحسانِ
 رَتَّقْ انفتاقِ الجمعِ بالأعيانِ

قَدْ شَقَّ صَفَّ الْأُمَّةِ اللَّاعُونَ حَتَّى
 نَهَضَ الدَّعِيُّ بِهِ فَبُئِسَ مَقَامُهُ
 تُلَجِيهِ «مَاسُونٌ» وَتَجْمَعُ حَوْلَهُ
 يَثْبُونُ بِالتَّارِيخِ مِنْ أَطْرَافِهِ
 وَدُعَاتُهُمْ أَنْصَافُهُمْ وَاحْسَرَتَا
 لِلْأُمَّةِ الشُّكْلَى جِرَاحُ غَضَّةٍ
 فَبِأَيِّ ثَائِرَةٍ تُرَاقُ دِمَاؤُنَا
 عَوْدًا إِلَى هَدْيِ الرَّسُولِ «مُحَمَّدٍ»
 جَمَعَ الرَّحِيمُ بِهِ النُّفُوسَ عَلَى الْهُدَى
 فَجَلَّوْا غُبَارَ الْعَقْلِ فِي صَلَوَاتِهِمْ
 وَتَرَاخَمُوا حَتَّى سَمَتْ أَخْبَارُهُمْ
 وَتَنَزَّهَتْ أَخْلَاقُهُمْ عَنْ فَاحِشٍ
 فَكَأَنَّمَا جَهْلُ السَّفِيهِ مَنَاقِرٌ
 وَكَأَنَّهُمْ فِي الْفِتْنَةِ الْأَقْسَى يَدٌ
 عَادُوا وَأَنْفُسُهُمْ تَذُوبُ مَدَامِعًا
 إِنْ تِلْكَ إِلَّا أُمَّةٌ مِنَّا خَلَّتْ
 تَنْحُو بِخَيْرِ فِعَالِهِمْ أَفْعَالُنَا
 إِنْ كَانَ رَبِّي اخْتَارَهُمْ لِنَبِيِّهِ
 عَاثَ بِالْأَزْمَانِ شَرُّ مَكَانٍ
 وَلِبُئْسَ مَا يَجْنِي عَلَى الْأَوْطَانِ
 مِنْ كُلِّ مَنْبُودٍ وَشَرِّ مُدَانٍ
 يَتَتَبَّعُونَ مَزَالِقَ الشَّنَّانِ
 تَعِدُّ الْعُقُولَ حَدَاثَةَ الْأَسْنَانِ
 وَلِفِتْنَةِ التَّفْرِيقِ أَلْفُ سِنَانٍ
 وَلَأَيِّ حَرْبٍ يُجْمَعُ الْأَخْوَانِ
 عَفَّ الْحَدِيثُ مُنَزَّهُ الْأَرْدَانِ
 صَفًّا فَكَانُوا أَوْثَقَ الْبَنِيَانِ
 حَتَّى كَأَنَّ الْغَيْبَ رَهْنُ عِيَانٍ
 مَا ذَابَ مِثْلُ حَدِيثِهِمْ بِجَنَانٍ
 مَتَخَلَّعٍ أَوْ فَاسِقٍ طَعَّانٍ
 وَكَأَنَّمَا صَفْحُ الْكَرِيمِ مَثَانِي
 شُدَّتْ بِأَجْمَعِهَا عَلَى الْأَذْقَانِ
 وَالْخِلُّ يَأْسُو عَبْرَةَ الْخُلَّانِ
 وَحَسَابُهُمْ فِي ذِمَّةِ الدِّيَانِ
 وَنَرَى بِحُسْنِ الظَّنِّ كُلَّ الشَّانِ
 صَحْبًا، فَنِعْمَ تَخْيِيرُ الرَّحْمَنِ

وَإِنْ اضْطَفَى أَزْوَاجُهُ وَحَيًّا، فَهَلْ فِي آخِرِ الْأَزْمَانِ وَحْيٍ ثَانٍ؟!!
يَهْوَاكِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ النُّورُ، وَالْ فُجَّارُ تَهْوَاهُمْ يَدُ الشَّيْطَانِ
دُونَ النَّبِيِّ وَعَرَضِهِ أَزْوَاحُنَا وَفِدَاهُمَا طُولَ الْمَدَى الثَّقَلَانِ

* * *

غيض من فيض ديوان الدفاع

وفيما يلي أستعرض بعجالة ما وصلني من قصائد في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، مع التنويه بأن بعض هذه القصائد قد كتبت بعد حادثة الإساءة إلى أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ممن نال عرضها الشريف وأساء إليها، وقد استبعدت من هذه القصائد ما اشتمل على السب والشتم والهجاء المقذع لأنه يفقد الشاعرية بريقها ويتدنّى بمستوى الإبداع، ثم إنني لم يكن مقصدي من هذا الكتاب إلا بيان أثر حديث الإفك هذا الفصل المهم من حياة المصطفى ﷺ وحياة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحياة المجتمع الإسلامي بأكمله آنذاك في الشعر العربي، وقد وجدت بغيتي فيما وجدت من قصائد وفيما وصلني من الأحاب ^(١).

* من «نونية القحطاني» في الذب عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قول أبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القطحاني:

وَأَبُو الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تَنْزِيهُهَا	قَدْ جَاءَنَا فِي النُّورِ وَالْفُرْقَانِ
أَكْرَمَ بِعَائِشَةَ الرِّضَى مِنْ حُرَّةٍ	بِكُرِّ مُطَهَّرَةِ الْإِزَارِ حَصَانِ
هِيَ زَوْجُ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَبِكْرُهُ	وَعَرُوسُهُ مِنْ جُمْلَةِ النِّسْوَانِ
هِيَ عَرِسُهُ هِيَ أُنْسُهُ هِيَ إِلْفُهُ	هِيَ حُبُّهُ صِدْقًا بِلَا أَذْهَانِ
أَوْلَيْسَ وَالِدُهَا يُصَافِي بَعْلَهَا	وَهُمَا بِرُوحِ اللَّهِ مُؤْتَلِفَانِ؟

(١) زودتني مبرة الآل والأصحاب مشكورة بمجموعة طيبة من القصائد لكي أختار منها ما يناسب هذا الكتاب.

وقال الشاعر عاصم بن الحسن الأديب:

وَحَقٌّ مِنْ بَعْلِهَا النَّبِيُّ وَمَنْ وَالذُّهَاءُ الْمَرْتَضَى أَبُو بَكْرٍ
لَا حِلَّ عَنْ مَدَحَتِي لَهَا أَبَدًا حَتَّى أَوَارَى ظِلْمَةَ الْقَبْرِ
وَقَدْ تَيَقَّنْتُ أَنَّ وَالِدَهَا يَشْفَعُ لِي فِي صِيحَةِ الْحَشْرِ
طَاهِرَةٌ تَنْتَمِي إِلَى نَسَبِ شَرَفَهُ اللَّهُ مِنْهُ بِالْفَخْرِ
لَمَّا رَمَوْا لِأَدْرَ دَرَاهِمَ بِالْإِفْكَ وَالزُّورِ عَصَبَةَ الشَّرِّ
بِرَأْهَا اللَّهُ مِنْ مَقَالَتِهِمْ بَغَيْرِ شَكٍّ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ
وَكَمْ لَهَا مِنْ فَضِيلَةٍ نَطَقَتْ بِهَا وَذَكَرَ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ
قَالَتْ تَوْفَى النَّبِيَّ خَالِقُهُ مَا بَيْنَ سَحْرِي وَمِلْتَقَى نَحْرِي
فَلَا رَعَى اللَّهُ مِنْ تَنْقَصِهَا فَمَالَهُ فِي الْمَعَادِ مِنْ عَذْرِ
وَأَيُّ عَذْرِ لِمَبْدَعِ رِجْسٍ مَذْهَبُهُ شَتَمُ زَوْجَةِ الطَّهْرِ
* قصيدة في محراب أمنا عائشة:

للدكتور عثمان قدرى مكانسي، شاعر سوري ولد في عام ١٩٤٧م،
حصل على الدكتوراة من معهد الاستشراق بأذربيجان، عمل بداية في
مدارس حلب، ثم مدرساً في الجزائر، وأخيراً في الإمارات العربية
المتحدة، من إنتاجه الأدبي: (نبضات قلب/ ١٩٨٦) و(وميض قلب)^(١)
اخترت من قصيدته في أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قوله:

وَأَمْنَا عَائِشَةُ رَمَزُ التُّقَى وَالشَّرَفِ الرَّفِيعِ وَالطُّهُورِ

(١) معجم الأدباء الإسلاميين (٢/ ٨٣٨) دار الضياء.

مَثِيلَةُ الصَّدِيقِ فِي نَقَائِهِ
حَبِيبَةُ الْحَبِيبِ، فِي خِبَائِهِ
طَهَّرَهَا الْمَوْلَى فَكَانَتْ عَلَمًا
مَنْ نَالَهَا فِي إِفْكِهِ فَقَدْ هَوَى
يُبُوءُ بِالْخِزْيِ الذَّمِيمِ خَالِدًا
فَالطَّيِّبُونَ مِثْلُهُمْ نَسَاؤُهُمْ
وَلَنْ يَضِيرَ شَمْسَنَا ذُبَابَةٌ
فَالْحَقُّ بَاقٍ ثَابِتٌ، وَأَصْلُهُ
وَيَرْتَقِي نَحْوَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا
نَفْسِي فِدَاءً أَمَّنَا عَائِشَةَ
مَا زَادَهَا جَهْلُ الْجَهْلُولِ فِيهَا
وَإِفْكُ شَانِيهَا دَلِيلُ خُبْثِهِ
وَالذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ يَبْقَى غَالِيًا
يَا أَمَّنَا، كِفَاكَ فَخْرًا سَامِقًا
دُرُّ مَصُونٍ فِي حِمَى الْبَشِيرِ
قَدْ رَوَيْتُ مِنْ عَذْبِهِ النَّمِيرِ
فِي سُورَةٍ تُتْلَى عَلَى الدُّهُورِ
فِي وَهْدَةِ الْعَذَابِ وَالتَّحْقِيرِ
كَابِنِ سَلُولٍ فِي لَظَى السَّعِيرِ
مَنْ مِثْلُ طَه فِي السَّنَا وَالنُّورِ؟
طَنَّتْ بُخْبَثٌ فِي عَمَى الدَّيْجُورِ
يَمْتَدُّ فِي الْأَعْمَاقِ وَالْجُذُورِ
تَحُوطُهُ الْأَمْلاكَ بِالتَّكْبِيرِ
وَنَفْسُ كُلِّ مُؤْمِنٍ غَيُورِ
غَيْرَ الضِّيَاءِ السَّاطِعِ الْبَهِيرِ
وَالْخُبْثُ غُلُّ الْفَاسِقِ الْغَرِيرِ
مَهْمَا اكَتَوَى مِنْ حَاقِدٍ حَقِيرِ
حُبُّ النَّبِيِّ الْوَاضِحِ الْكَبِيرِ

* من قصيدة (يوم عائشة) للشاعر محمد الغرباوي: شاعر مصري ولد عام ١٩٦١، حفظ القرآن صغيراً، وهو حاصل على الدكتوراة في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية من جامعة الأزهر، درّس الأدب في جامعة الأزهر وجامعة الملك سعود بالسعودية، من إنتاجه الأدبي «ديوان البلابل تأكلها البوم»، و«ديوان عودة شادي»، و«ديوان عودة الأقصى»، اخترت من قصيدته قوله:

أَعَائِشُ فَاخِرِي الدَّرَّ الْمَصُونَا	بِأَنَّكَ تُطَلِّبِينَ هَوَىٰ وَدِينَا
وَلَيْسَ الدَّرُّ مَهْمَا ازْدَدْتَ مِنْهُ	لِيَنْفَعَ فِي مَعَادِ الصَّالِحِينَ
أَعَائِشُ ضَرَّ عَيْنِ الشَّمْسِ يَوْمًا	مَلَامَةٌ مَنْ قَدْ افْتَقَدَ الْعُيُونَا؟!
وَيَسْقِي الْغَيْثُ عَطَشَى الْأَرْضِ رِيًّا	وَلَمْ يَعْبا بِهَاجِرِهِ هَتُونَا
إِذَا مَا الْمُفْتَرُونَ رَمَوْكَ حَقْدًا	فَقَدْ هُدِمَتْ عِمَادُ الْمُسْلِمِينَ
وَقَدْ رِيَمَ الْعَفَافُ فَلَنْ تَرَاهُ	يَرْجُحُ بِهِذِهِ الدُّنْيَا ثَمِينَا
أَبَيْتَ الطُّهْرَ يَا بِنْتَ الْأَعَالِي	مَتَى يَجْنِي الَّذِي يَقْلِيكَ دِينَا؟!
وَلَيْسَ هُنَاكَ بَعْدَ اللَّهِ عَدْلٌ	تَرَى بِقَضَائِهِ الْفَضْلَ الْمُبِينَا
وَقَدْ أَعْلَاكَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ	بِقُرْآنٍ تَلَاهُ الْعَالَمُونَ
فَقَرِّي أُمَّنَا عَيْنًا وَرُوحًا	وَلَا يَحْزُنُكَ هَزْلُ الْمُرْجَفِينَا
لَيْسَ لَمْ يَنْتَهُوا سَيِّجِيءُ رَبِّي	بِرَجْزٍ مِثْلِ رَجْزِ الْغَابِرِينَ
وَلَوْ أَنَّ ابْنَةَ الصَّدِيقِ خَانَتْ	فَمَا مِنْ طَاهِرٍ تَلْقَاهُ فِينَا
وَلَوْ أَنَّ الْمُصِيبَةَ فِيكَ قَصْدًا	وَلَكِنْ يَمَّمُوا الْهَادِيَ الْأَمِينَا

* وتحت عنوان يا ناطحاً جبل العفاف كفاكا، قال الشاعر زكريا النواري
الفاخري قصيدة جيدة في الدفاع عن أم المؤمنين رضي الله عنها اخترت منها:

يا نَهْرَ شعري، مَا الذي أَجْرَاكَ
قد كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ كُلَّ سَفَائِنِي
فَجَرَّتْ فِي أَرْضِ الحُرُوفِ مَشَاعِرًا
وَسَقَيْتَ مِنْ حَقْلِ القُلُوبِ بَرَاعِمًا
فَأَجَابَنِي قَلَمِي بِفَيْضِ عَوَاطِفِ:
أَنَا مَا كَتَبْتُ لَكَي أُمَجِّدَ طَاجِيًا
يَارَبِّ، عَطَّرَ لِي حُرُوفِي بِالرِّضَا
أَنَا قَدْ أَتَيْتُ لَكَي أُبْرِئَ ذِمَّتِي
لِتَسْطَرَّ الأَبْيَاتُ فِي ذِكْرِ الهُدَى
تِلْكَ الحَصَانُ، فَيَا مَكَارِمُ غَرْدِي
هِيَ أُمُّ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعِهِمْ
وَاللَّهِ لَوْ خَلَطْتُ بِسِيرَتِهَا الدُّجَى
وَاللَّهِ لَوْ مُزِجْتُ بِمِلْحِ بَحَارِنَا
هِيَ قِمَّةُ الأخلاقِ فِي جَبَلِ الهُدَى
اللَّهُ طَهَّرَهَا، وَأَنْزَلَ سُورَةَ
وَاللَّهُ أَعْلَى شَأْنِهَا وَمَقَامِهَا
جَدَّدْتُمْ قَوْلَ الْيَهُودِ بِمَرِيمَ

بَعْدَ انْقِطَاعِ البُوحِ عَنْ مَرْسَاكَ؟
غَرَّقِي، فَلَنْ تَشْدُوا إِلَى لُقْيَاكَ!
فَمَنْ الذي بَعْدَ الغِيَابِ دَعَاكَ؟!
لَوْلَاكَ قَدْ ظَمِئَتْ جَوَى.. لَوْلَاكَ
أَنَا مَا كَتَبْتُ الشُّعْرَ عَنْ دُنْيَاكَ
حَاشَاكَ - يَا قَلَمَ الْعُلَا - حَاشَاكَ
مَا ضَلَّ مَنْ يَسْعَى لِنَيْلِ رِضَاكَ
خُذْهَا حُرُوفِي كَيْ تُنِيرَ سَمَاكَ
وَلِتَسْتَجِيبَ لِصَوْتِ مَنْ نَادَاكَ
فَوْقَ السَّحَابِ.. فَمَنْ يَضِيرُ عَلَاكَ؟
نَصُّ الْكِتَابِ، فَمَنْ سَيَنْكِرُ ذَاكَ؟!
لَتَلَأَلَتْ لِتَنْوَرِ الأَفْلَاكَ
لَشَرِبَتْهُ عَذْبًا يُعْطِّرُ فَاكَ
يَا نَاطِحًا جَبَلِ العَفَافِ، كَفَاكَ!
أَكْفَرْتَ بِالقُرْآنِ حِينَ أَتَاكَ؟
اللَّهُ بَرَّأَهَا وَمَا بَرَّاكَ!
وَهَلِ الْيَهُودُ الْمُفْتَرُونَ سِوَاكَ؟!

إلى أن قال في ختامها:

يا أيُّها القِرطاسُ، سَطَّرَ سِيرَةَ عَنْ عَائِشٍ، وَمُخَضَّباً يُمْنَاكَ
أَنْثَرُ رَبِيعاً فِي خَرِيفِ غُصُونِهِمْ أَشْعَلْ لَهُمْ شَمْعَ الْهُدَى بِسَنَاكَ
ازرَعْ وَرُوداً فِي مَشَاتِلِ حِقْدِهِمْ لَنْ يَحْصُدَ الْبَاغِي سِوَى الْأَشْوَاكَ

* وينسجم مع معنى القصيدة السابقة الشاعر محمود النبهاني، ويعبر عن ذات الغرض النبيل وهو الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصيدته «القول اليقين في الدفاع عن أم المؤمنين»:

هَامَ الْفُؤَادُ بِصَفْحَتِي مُتَوَدِّداً وَبِحُبِّ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مُجَدِّداً
فِي ذِكْرِ عَائِشَةَ الْكَرِيمَةِ جِئْتُكُمْ أَبْذِي الْمَحَبَّةَ أَسْتَشِيرُ الْمَقْصِداً
هِيَ أُمُّ مَنْ كَانَ الرَّسُولُ حَبِيبَهُ هِيَ أُمُّ مَنْ فِي الدِّينِ كَانَ مُوَحِّداً
هِيَ أُمُّ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَحُبُّهَا فَرَضَ عَلَيْنَا فِي الْهِدَايَةِ حُدُداً
فَهِىَ الْحُمَيْرَاءُ الطَّهَوْرُ، وَعَرَضُهَا مِنْ عَرَضِ خَيْرِ الْخَلْقِ فِينَا أَحْمَداً
وَهِيَ الْمُبْرَأَةُ الشَّرِيفَةُ بَعْدَ مَا طَالَتْ لِسَانُ الْإِفْكِ، جَاوَزَتْ الْمَدَى
مِنْ فَوْقِ سَبْعِ جَاءَتِ الْبُشْرَى وَقَدْ زُهِقَتْ أَبَاطِيلُ، وَحَقُّ قَدْ بَدَا
نَقَلْتُ لَنَا أَخْلَاقَ سَيِّدِنَا وَقَدْ قَالَتْ هُوَ الْقُرْآنُ نُورٌ يُفْتَدَى
هِيَ ابْنَةُ الصَّدِيقِ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الَّذِي صَحِبَ الرَّسُولَ مُحَمَّدَا
فِي الْغَارِ، بَعْدَ تَجَمُّعِ الْكُفَّارِ كَي يَقْضُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يُبَالِي بِالْعِدا
مَنْ ذَا يَقُولُ بِبَغْضِهَا وَبِهَجْرِهَا فِي دِينِهِ قَدْ قَالَ قَوْلاً أَجْرَداً
جَمَعَ الرِّوَايَاتِ الضَّعِيفَةَ، بَيْنَمَا أَضْحَى بِسِيرَةِ عِزِّهَا مُتَصَيِّداً

وَلَقَدْ عَمَاهُ الْحَقُّ بَعْدَ ضَلَالِهِ
فَاللَّهُ يُظْهِرُ دِينَهُ لِعِبَادِهِ
يَا رَبِّ، جَمَعْنَا مَعَ الْمُخْتَارِ وَالْ
وَأَنْصُرَ عِبَادَكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فِي
وَاهِلِكَ أَنْاسًا قَدْ تَعَدَّى قَوْلُهُمْ
وَتَنَاقَلُوا عِرْضَ الرَّسُولِ بِقَوْلِهِمْ
هَذَا كَلَامِي قُلْتُهُ مُتَقَرِّبًا
لَمْ أُؤْفِهَا حَقَّ الْمَدِيحِ، فَهَلْ لَكُمْ

* وللشيخ الشاعر خير الدين وانلي قصيدة أسماها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، هي أقرب إلى المنظومة منها إلى القصيدة اخترت منها قوله :

حَيُّوا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ
كَانَتْ - لَعَمْرُ اللَّهِ - أَعْلَى زَوْجَةٍ
مَنْ مِثْلُهَا فِي عِلْمِهَا أَوْ فَهْمِهَا؟
يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ، طُبِتِ حَلِيلَةٌ
كَنتِ الأَثِيرَةَ عِنْدَهُ؛ لِنِضَارَةٍ
إِنْ كُنتِ قَدْ أَبْدَيْتِ يَوْمًا غَيْرَةً
مَنْ يُحْرِزِ الدَّرَّ الثَّمِينَ يَكُنْ بِهِ
عَانِيَتِ ضَنْكَ العَيْشِ ذُقْتَ مَرَارَهُ
وَالْمَالُ عِنْدَكَ - لَوْ أَرَدْتَ - مُقَنْطَرٌ

مَحَبُوبَةُ الْمُخْتَارِ، فَضْلِي الْعَالَمِينَ
عِنْدَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الرَّاعِي الْأَمِينِ
مَنْ مِثْلُهَا فِي حِفْظِهَا الثَّوَرَ الْمُبِينِ؟
بِاللُّطْفِ تَسْتَهْوِينِ خَيْرَ الْمُرْسَلِينَ
وَتَفْتُحِ وتَلْفُتِ لِلْبَائِسِينَ
فَمُحَمَّدٌ أَوْلَى بِهَا فِي كُلِّ حِينِ
حَقًّا ضَنِينًا؛ حَبَّذَا الدَّرُّ الثَّمِينَ
لَمْ تَعْبَثِي يَوْمًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ
بَلْ كُنتِ فِيهِ قُدُوءَ لِلزَّاهِدِينَ

وَصَبَرْتُ يَوْمَ الْإِفْكِ صَبْرَ عَفِيفَةٍ لَمْ تَقْطَعْ الْأَمَالَ مِنْ رَبِّ مُعِينٍ
 حَتَّى أَتَتْكَ مِنَ السَّمَاءِ بَرَاءَةٌ فَالطَّيِّبَاتُ حَلَائِلٌ لِلطَّيِّبِينَ
 مَنْ جَاءَ بِالْإِفْكِ الْأَثِيمِ: جَزَاؤُهُ جَلْدٌ وَرَدُّ شَهَادَةٍ فِي الشَّاهِدِينَ
 فإِشَاعَةُ الْفَحْشَاءِ أَسْوَأُ خَلَّةٍ وَاللَّهُ لَا يَرْضَى عَنِ الْمُسْتَفْحِشِينَ
 اللَّهُ طَهَّرَ آلَ بَيْتِ الْمُصْطَفَى مِنْ كُلِّ رَجْسٍ؛ أَسْوَةٌ لِلطَّاهِرِينَ

- وللنساء مشاركة في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وأرى أن المرأة لو شاركت بفاعلية أكبر في هذا المضممار لقدمت قصائد هي نجوم لامعة في سماء الأدب وأدنى تأمل لقصيدة الشاعرة عفيفة الحصني رحمها الله كاف في الاقتناع بدور المرأة في هذه الإضافة الإبداعية؛ لأنها امرأة وهي أدري بشعور معاناة المرأة ومرارة اتهامها في عرضها، وإليك بعض القصائد النسائية:-

قصيدة: (عز الأمومة.. الصديقة بنت الصديق) للشاعرة فدوى محمد جاموس:

أُمِّي، وَأُمُّ أَبِي وَجَدِّي، وَالْجُدُودِ الْعَابِرِينَ أُمُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ، وَبَنِيهِمْ وَالتَّابِعِينَ
 قَدْ عَزَّ مَنْ أَلَتْ بُنُوتهُ لَأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ هِيَ أُمْنَا، زَوْجُ النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْبَرِّ الْأَمِينِ
 أُمٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْأَبَاءِ الصَّادِقِينَ صِدِّيقَةٌ هِيَ، وَابْنَةُ الصَّدِّيقِ فَخْرِ الْعَالَمِينَ
 هِيَ فَخْرٌ؟! مَنْ نُسِبُوا إِلَيْهَا مِنْ بَنَاتِ أَوْبَيْنِ الْحُرَّةُ الشَّمَاءُ، عِزُّ الْخَلْقِ، فِي خُلُقٍ وَدِينِ
 اللَّهُ طَهَّرَ ثَوْبَهَا، مِنْ كُلِّ بَادِرَةٍ تَشِينِ وَلَهَا الْكَرَامَةُ وَالسُّمُورُ بِرَغْمِ كَيْدِ الْحَاقِدِينَ

- وتحت عنوان: (روحي فداك) قالت الشاعرة سلوى عصام قصيدة جيدة

في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اخترت منها:

أَنْتِ الْعُلَا وَالنَّجْمَةُ السَّمَاءُ قَدْ نِلْتِ مَا لَمْ تُدْرِكِ الْجُوزَاءُ
يَا زَوْجَ خَيْرِ الْعَالَمِينَ سَجِيَّةً عَشَقْتُهُ أَرْضٌ وَاصْطَفَتْهُ سَمَاءُ
حُبُّ الرُّسُولِ عَلَى جَبِينِكَ شَامَةٌ وَالسَّيْرَةُ الْغُرَاءُ مِنْكَ تُضَاءُ
الطُّهْرُ أَنْتِ فَهَلْ هُنَالِكَ مِنْكَرٌ مِنْ بَعْدِ مَا قَالَ الْإِلَهُ - بَرَاءُ-؟
كَلَّا وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ تَخَرَّصُوا هُمْ لِلْحَقِيقَةِ وَالْهَدَى أَعْدَاءُ
إِلَى أَنْ قَالَتْ:

كَذَّبُوا الْإِلَهَ، وَأَنْقَصُوا فِي قَدْرِهِ ذَكَرُوا النَّبِيَّ وَصَحْبَهُ فَأَسَاؤُوا
مَاذَا يَضِيرُكَ - يَا حَبِيبَةً - إِنْهُمْ أَقْدَارُ فَاحَتْ رِيحُهُمْ نَكَرَاءُ
مَاذَا يَضِيرُ النَّجْمَ فِي عَلَيَّائِهِ نَبَحَ بَغِيضٌ فِي الثَّرَى وَعُوَاءُ
سَيِّئَتْ وَجْوهُ الْمَرْجَفِينَ، وَقَطَّعَتْ أَيْدِي النَّفَاقِ، وَأُخْرَسَ الْجَبْنَاءُ
سَيِّدُكَ نَوْرُ الْحَقِّ إِنْكَ ضَلَالِهِمْ وَتُسَامُ ذَلَالَةً شَوْهَاءُ
يَا حَبِّ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِمَهْجَتِي رَوْضٌ بِذِكْرِكَ عَاطِرٌ وَثَنَاءُ
رُوحِي فِدَاكَ، فَلَسْتُ أَرْضَى بِالَّذِي يُوْذِيكَ.. دُونِكَ أَنْفُسٌ وَدِمَاءُ

المراجع

- ١- آفاق جديدة في الأدب لأنور الجندي مكتبة الأنجلو - القاهرة.
- ٢- أبو بكر الصديق لعل الطنطاوي دار المنارة للنشر والتوزيع ط الثالثة.
- ٣- الإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة للإمام بدر الدين الزركشي المكتب الإسلامي/ بيروت ط. الثالثة ١٩٨٠م.
- ٤- أدب الخلفاء الراشدين للدكتور جابر قميحة، دار الكتاب المصري/ القاهرة.
- ٥- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لشهاب الدين المقري التلمساني، صندوق إحياء التراث الإسلامي/ المغرب.
- ٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- ٧- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م،
- ٨- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة عشر ١٩٩٩م.
- ٩- الأعلام الشرقية لزكي محمد مجاهد، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط الثانية.
- ١٠- أعلام العراق للألوسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت.
- ١١- أنجم السياسة وقصائد أخرى لعبد الله كنون، دار الثقافة، المغرب، ط

الأولى ١٩٨٩م.

- ١٢- بلاغات النساء لابن طيفور، دار الحداثة، بيروت، ط الأولى ١٩٨٧م.
- ١٣- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار لنور الدين بن يوسف الشطنوفى، دار القلم العربي/ سورية، ط ١ ٢٠٠٣م.
- ١٤- تائية الخطيب لعبد الحميد الخطيب، مكتبة الشقري، السعودية، ط الرابعة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- ١٥- تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط السادسة ١٩٩٢م.
- ١٦- تاريخ الشعر العربي الحديث للدكتور أحمد قبش، مؤسسة النوري، دمشق.
- ١٧- تغريدة السيرة النبوية للشيخ محمد عايش عبيد، دار التراث، القاهرة.
- ١٨- جغرافية الشعر لأنماري شيمل، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.
- ١٩- حديث الإفك للحافظ عبدالغني المقدسي بتحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق ط الأولى ١٩٩٤م.
- ٢٠- حديث الإفك للحافظ عبد الغني المقدسي بتحقيق سليم الهلالي غراس للنشر والتوزيع، الكويت ط الأولى / ٢٠٠٥.
- ٢١- حسان بن ثابت حياته وشعره للدكتور إحسان النص، دار الفكر، سورية ط. الثالثة ١٩٨٥م.
- ٢٢- حياة محمد لالفونس دي لامار تين ترجمة د. محمد قوبعة، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين، الكويت ٢٠٠٦ك.
- ٢٣- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور للأديبة زينب بنت علي العاملة،

- دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ٢٤- ديوان أبي بكر الصديق، دار صادر، بيروت ط. الثانية ٢٠٠٣م.
- ٢٥- ديوان أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت ط. الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- ٢٦- ديوان أقمار مكة للشاعر عبد الله باشراحيل مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط الأولى ٢٠٠٢.
- ٢٧- ديوان حسان بن ثابت، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٩٨٦.
- ٢٨- ديوان الخالدين لمصطفى عبد المولى، دار الفلاح- مصر.
- ٢٩- ديوان مجد الإسلام للشاعر أحمد محرم، مكتبة الفلاح - الكويت.
- ٣٠- ديوان من نبع القرآن للدكتور محمد رجب البيومي، دار الأصاله، الرياض، ط الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٣١- ديوان من إشراقات السيرة الزكية للشاعر عزيز أباطة، مكتبة مصر، الفجالة.
- ٣٢- ديوان وفاء للشاعرة عفيفة الحصني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦م.
- ٣٣- رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ط السابعة ١٩٨٦م.
- ٣٤- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٣٥- شعر ابن جابر الأندلسي للدكتور أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين، سورية، ط الأولى ١٤١٧هـ ٢٠٠٧م.
- ٣٦- صاحبة الحرير الأخضر للدكتور عبد الرحمن العشماوي، مكتبة

- البيكان، الرياض، ط الأولى ١٤٢٦هـ.
- ٣٧- الصديقة بنت الصديق لعباس محمود العقاد، دار المعارف، مصر.
- ٣٨- صوت الإسلام الصارخ للدكتور محمد رجب البيومي، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٤م.
- ٣٩- طبقات الفقهاء للإمام الشيرازي، دار الرائد العربي- بيروت.
- ٤٠- في الأدب الإسلامي للدكتور محمد صالح الشنطي، دار الأندلس، حائل، ط الثانية ١٤١٨هـ.
- ٤١- في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط الخامسة والعشرون ١٩٩٦م.
- ٤٢- العوائق لمحمد أحمد الراشد، دار المنطق، ط ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ٤٣- لقاء العشر الأواخر في المسجد الحرام (٣٣)، لمجموعة مؤلفين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٤٤- المختار من مناقب الأخيار لمجد الدين بن الاثير، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط الأولى ٢٠٠٣م.
- ٤٥- المذاكرة في ألقاب الشعراء لمجد الدين النشابي الكاتب، دار الينابيع- دمشق.
- ٤٦- مشاهير شعراء العصر لأحمد عبيد، دار صادر، بيروت، ط الثانية ١٩٩٤م.
- ٤٧- معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين لأحمد الجدع، دار الضياء، الأردن، ط الثانية ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- ٤٨- معجم الشعراء للدكتور كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ٢٠٠٢م.

- ٤٩- معجم علوم اللغة العربية للدكتور محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ٥٠- نظام البردة لعلي أحمد باكثير، مكتبة مصر- الفجالة.
- ٥١- الوافي بالوفيات للإمام صلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ ط الأولى.
- ٥٢- يوسف الصديق شعراً ونثراً لمحمد عايش عبيد، دار الوفاء، المنصورة، ط الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.